دور القيم فى تكامل الفرد والمجتمع

دكتور
فهمى محمد علوان

تمهيد :

لفظ القيمة اسم هيئة من قام الشئ بكذا ، يعنى كان ثمنه المقابل له كذا ثم استعمل بمعنى القدر والمنزله ومن هنا نشأ المعنى الفلسفى لهذه الكلمه فهو إنتقال من دلاله مادية معروفه فى علم الحساب وعلم الإقتصاد السياسى الى دلاله معنويه عما فى الأشياء من خير أو جمال أو صواب .

والقيمه بوجه عام مجموعه من الخصائص الثابته للشئ يقدر بها ويرغب فيه من أجلها ويتكون سلم القيم للأشياء من جهة تفاوتها فيما يتقتضى لها التقدير أو ما يبحث على الرغبه فيها وقد يكون ذلك ثابتا للشئ باعتبار ذاته أو باعتباره وسيله لتحقيق معنى فى غيره وهذا هو أساس الرغبه * .

وفكرة البحث فى القيمة لم تظهر إلاّ حديثا فقد كان علماء الإقتصاد أسبق أهل العلوم الإجتماعية فى الإهتمام المعاصر بالقيمة فقد عكفوا منذ قرن مضى على البحث فيها وفى الدور الذى تلعبه فى حياة الإنسان ، وتعمقوا فى دراستها وتحليلها ، وما يتصل بها من إشباع الحاجات والرغبات حتى وصف بعضهم علم الإقتصاد بأنه علم القيمة وعلماء الإقتصاد من أمثال آدم سميث ، وجون ستورت مل قد وسعوا المعنى الإقتصادى الضيق فميزوا بين القيمة فى الاستعمال والقيمة

---

* مختار الصحاح ماده قوم ص ٥٥٧ .

فى التبادل وبهذا مهدوا الطريق أمام استعمالها فلسفيا .

وقد إختلفت المذاهب حول معنى خيرية القيمة فبينما سدجوبك يرى أن اللذة لها قيمة نجد أن كانط ينظر الى اللذة أو السعادة على انها ليست قيم ذاتيه وإنما قيمتها خارجه عنها ، فكانط تمسك بفكرة الفضائل الجامعه والتى سوف تكافئ كميات مناسبه من السعادة التى تسمى بالخير الذاتى ، أما السعادة فى ذاتها فليست من الخير الذاتى * .

وهكذا إنتقل التعريف بالقيم من الإطار العلمى الى الإطار النظرى ولقد أفردنا دراسة للقيم الضرورية ومقاصد التشريع الاسلامى ** ، بحثنا فيها القيم العليا الساميه التى تهدف الى تنظيم حياة الإنسان فى أفضل صورة .

وهنا فى هذا البحث تنزل الى القيم التى تمس حياة الفرد والجماعه لبحث عن دور هذه القيم فى تكامل شخصية الفرد وانسجامها مع الجماعه التى يعيش فيها .

وقد إخترنا مجموعه من القيم لا لأنها هى أهم القيم وحسب ولكن لأنها هى التى يجب أن نبدأ بها .

فالبحث يبدأ بالتعليم كقيمة لها أهميتها فى تكامل الفرد مع المجتمع وبعد نشر التعليم هناك قيم لابد من نشرها وسط المجتمع لكى يعتنقها ويؤمن بها فى سلوكه العام والخاص وقد إخترنا من هذه

---

* د. توفيق الطويل . القيم العليا فى فلسفة الأخلاق ، بحث بمجلة عالم الفكر ، عدد ٤ ، ١٩٧٦ .

** د. فهمى محمد علوان . القيم الضرورية ومقاصد التشريع الإسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ .

القيم قيمة المال وقيمة الوقت وقيمة الولاء وقيمة العمل .

وليست هذه هى كل القيم التى تعمل على تكامل الفرد مع المجتمع وإنما هناك قيم أخرى قد نتحدث عنها فيما بعد .

ودراستنا للقيم هنا هى محاوله لإبراز أفضل القيم التى تفيد الفرد والمجتمع وقد إخترنا القيم الإسلاميه لا لأنها تعبر عن ذاتنا ولكن لأنها هى القيم الصالحة وسوف يظهر ذلك جليا من خلال هذه الدراسة التى تهدف الى أن تكون دراسة موضوعيه .

١ - تعليم القيم

هناك سؤال مشروع ومطروح فى الساحة الاسلامية :

أين يلتمس المسلم المعاصر القيم التى تكفل له تحقيق جوهر إنسانيته وإزدهار طاقاته وملكاته والنهوض بواقع أمته وحضارته فى العصر الحديث ؟ أين يلتمس المسلم المعاصر هذه القيم ؟

وبعض الناس قد يستغرب الحيره التى جعلت وتجعل المسلم لايدرى حتى الآن المصدر الطبيعى الذى عليه أن يلتمس منه وفيه هذه القيم لأن البعض يرى أن التماس القيم فى الاسلام بديهه تجب أن تصل عند الإنسان المسلم الى حد الفطره التى فطر اللّه عليها هذا الإنسان .

فالقيم ضرورات فطرية للإنسان من حيث هو إنسان وإسلامنا هو دين الفطره التى فطرنا اللّه عليها فمن الطبيعى ومن البديهى أن يكون القائم على تحقيق هذه القيم ومن ثم يكون المصدر الطبيعى لمن يريد التماس هذا السياج (١) .

ورغم أننا نعترف ونعتقد صدق هذه المقوله إعتقاد المؤمن المستيقن إلّا أننا نعترف ونعتقد كذلك بما يكتنف هذا الأمر من ضباب، يبعث الحيره لدى كثير من الإسلاميين الذين يبحثون مخلصين عن مصدر القيم فى العصر الذى نعيشه والطور الحضارى الذى سيتشرفه هذا الإنسان .

وقبل أن نتكلم عن بعض القيم الإسلامية وما شابها من خلط فى الأمور فى أكثر الأحيان ، يجب أن نقف وقفه مع مفهوم الحضارة الإسلاميه ومفهوم الحضارة الغربيه والحضارة فى اللغة هى فعل أهل الحضر ولكنها فى المصطلح الإسلامى هى عمارة الأرض بمقتضى المنهج

الالهى - فيدخل فى ذلك الجوانب الماديه والتنظيمية وتدخل فيها القيم التى يحملها هذا الدين غير منفصله هذه عن تلك أى أنها تشمل الأمرين اللذين فرقت بينهما الحضاره المعاصره التى سمت احدهما ثقافه Cultur وخصته بالقيم والأفكار والمعتقدات وسمت الآخر حضاره Cvilization وخصته بالجانب المادى والتنظيمى .

إن مفهوم الحضاره فى الفكر الإسلامى يشمل الجانب المعنوى الذى يحمل القيم والجانب المادى والتنظيمى على السواء .

ومن هنا نقول أن الحضاره الإسلامية لها قيم ثابته وأشكال ماديه وتنظيميه ناميه ومتغيره على الدوام والمفروض أن يظل الإرتباط قائما بين تلك القيم وهذه الأشكال المتغيره وهنا تصبح القيم إسلاميه أصيله أما إذا تغيرت القيم وإبتعدت عن روح الإسلام لم تعد تصلح أن تسمى بهذا الإسم (٢) .

ولئن كان الإسلام قد وضع القيم المعنويه فى المقدمة - فانه لم يهمل الجوانب الأخرى ولا دعا الى مصادرتها - بل أعطى كل ذى حق حقه فالإسلام يسعى لإشباع الجوانب كلها - فينتج من ذلك الإنسان السوى الذى يحقق التوازن على المستوى الرفيع (٣) .

من هذا التعريف لمفهوم الحضاره فى الإسلام نجد أن القيم ترتبط بصفة دائمه بالذات الإنسانية هذه الذات تعيش فى مجتمع يؤمن بهذه القيم ومن هنا نجد أن القيم المرتبطه بالذات المسلمه هى قيم مُعبره عن هذه الذات التى حملت تراثها من عقيدتها ومن ميراثها الحضارى وهذه القيم الإسلامية تختلف عن القيم الغربية لأن قيم الغرب قد تشكلت بغير أساس تعتمد عليه وهى فى جوهرها تعتمد على العلم المادى كعقيده دينيه ، هذا العلم المادى الذى بهر العقل الغربى فى فتره من الفترات ثم أصبح اليوم فى عصرنا هذا من أخطر الأسباب التى

خلقت أزمه الإنسان فى الغرب حقا إن العلم له بريق يخطف الأبصار ولكن ماهو إلاَّ فترة وجيزه ويفيق الإنسان ويبحث عن ذاته مره أخرى فأين يجد الغربى ذاته هل يجدها وسط زحام المصانع أو يجدها بين مخلفات هذه الصناعات ؟

لقد أخذ الغرب بقيم العلم وترك وراءه كل قيمه أخرى وهنا طغت الماديه والنفعيه على المعاملات الإنسانية وأصبح الإنسان نفسه سلعه تقدر بمال وعمله قيمه لها مقابل مادى ، وبهذه فقدت القيم الغربيه أهم عنصر فى تكوين الإنسان وهو السمو أو العلو على الواقع والترفع عن النفعية المنحطه والسمو الى مكان الاريجيه والاثره .

وإذا كان - الغرب يعانى من أزمه فى القيم فإن الغريب فى الأمر إننا نجد هذه القيم الهزيله المريضه ونحاول أن نزرعها فى بيئتنا الإسلاميه ، حقا إنها إن نبتت لن تأتى ثمارها لأن قيمنا الأصيلة هى صاحبة التربه وهى صاحبة الأرض ولكن هو القيم قد تزاحم قيمنا وقد نجد لها مرتعا فى النفوس الضعيفة أو المريضه التى بهرها البريق الزائف الذى يرون لمعانه من قبل الغرب المُظلم .

إن الذى يحاول أن يأخذ بقيم الغرب ويترك القيم الإسلامية هو إنسان ينسلخ عن جلده فهل يمكنه أن يعيش ؟

أما الذى يحاول أن يمزج بين القيم الإسلامية والقيم الغربية أو أن يأخذ بمنهج التوفيق فهذا أمر قد ثبت فشله لأن ذلك تشكل كاذب ومزج بين متضادين متنافرين وهؤلاء قد خرجوا بمسخ من القيم لا هى بالقيم الإسلامية ولا هى بالقيم الغربية وهذا يشبه من يرتدى قبعه وبدله ويضع فى جيبه سلسلة وهو ليس إنجليزى الأصل فهل بهذا الرداء يمكن أن يصبح ذا هويه إنجليزيه ؟

أنى شخصيا لا أعتقد ذلك أن ذات الإنسان أعمق بكثير من

مجرد المظاهر الخارجية وإن ما يحمله الفرد من تراث كامن فى داخله إكتسبه من بيئته ومن عاداتها وتقاليدها وممن حصل الثقافة على يديه وأكثر من ذلك من عقيدته التى آمن بها وصدق وأعتقد بكثير من قيمها هل لهذا الإنسان أن ينسى كل هذا وأن ينسلخ عن كل هذا لكى يعيش بدون ماضى وبدون تاريخ ؟

وحتى لو فعل ذلك فكيف له أن يعيش قيم الغرب ؟ كيف يستطيع أن يقهر الذات لكى تتقبل هذه القيم ؟ إننا لو طلبنا من أمرأة مسلمة تربت على القيم التى تدعوا الى الطهر والعفاف - لو طلبنا منها أن تعيش على النمط الغربى فهل سيكون ذلك أمرا سهلا عليها ؟ هل تستطيع أن تخلع الحجاب وأن تعيش حياة الأوربية المستهترة ؟ لا أظن حتى ولو فعلت أن ذلك الأمر سيتوافق مع فطرتها ومع موروثاتها الإيمانية ، وعلى ضوء هذه القضية قضية المحافظة على الذات الإنسانية المسلمة كان واجبا علينا أن نهب لنقول لا لكل ما يمسخ شخصيتنا ويذيب هويتنا ، إننا لا نمل الدعوه الى التحرر من الإستعمار والأحرى بنا أن نقول اليوم أن الحريه هى حرية الأفكار نريد شخصية سويه - نريد قيما إسلاميه ومن هنا خصصنا هذا البحث نحاول أن نعالج من خلاله قضية القيم وسنحاول بقدر الإمكان أن تكون الدراسه موضوعيه فلن نبالغ فى العداء ضد كل ما هو غربى ولكن القصد هو توضيح القيم الإسلامية وما خالطها من قيم غربيه قد تخفى عن الأعين للإشتراك فى الألفاظ أو لكثرة ترددها وتكرارها .

وسنبدأ دراستنا بمقال عن التعليم والقيم لأن القيم لا تولد معنا وإنما نكتسبها من بيئتنا ومن تراثنا ومن عقيدتنا وهنا نحاول أن نكشف عن دور القائمين على أمر التعليم فى تلقين النشئ القيم الإسلامية وتوجيههم الوجهة الصحيحة والبُعد بهم عن القيم الفاسده التى تقضى على ذاتهم وعلى أمتهم وعلى عقيدتهم .

إن التعليم فى حد ذاته له بُعد قيمى لأن أى قيمة هدفها

ووسيلتها الإنسان الذى يتم إعداده داخل المؤسسة التعليمية ولذلك تتعدد الصور التى تتجلى فيها العلاقات المتبادلة بين التعليم والقيم .

فالتعليم يحول البشر الى كائنات سامية عن طريق غرس القيم السامية فى نفوس النشئ وكذا فى نفوس الكبار (٤) .

والتعليم وسيلة هامة للسيطرة الإجتماعية فإذا كان الكبار فى المجتمعات يؤمنون بالقيم وأنماط السلوك التى يمارسونها فإنهم يرغبون دائما فى أن يسيطروا على بيئتهم عن طريق السيطرة على هذه القيم على إستقرارها وبقائها ولا يتحقق هذا الإستقرار ولا يتحقق بالتالى السيطرة على البيئة إلاّ بأن يكتسب الصغار هذه القيم وتلك الأنماط من السلوك (٥) ، وهنا تتحقق السيطرة الإجتماعية ، يقول أحد الكتاب الغربيين وهو Alexander Meikfejehn :-

إن السؤال الأساسى بالنسبة لأى نظام تعليمى هو ما هى الجماعة الإجتماعية التى تعطى هذا التعليم ؟ وماهى أغراض هذه الجماعة ؟ ولماذا ترغب فى أن يكون أفرادها متعلمين ؟ ويشير الكاتب بهذه الكلمات الى أن التعليم هو دائما تعبير عن سلطة جماعة إجتماعية معنيه والدول فى عصرنا هذا هى هذه المجموعة وفى الحقيقة أن الجزء الأكبر من التعليم فى أغلب بلاد العالم حكومى أو تشرف عليه الحكومات وبذلك فإن الحكومات هى التى تحدد سياسة التعليم وبالتالى يقع عليها العبء الأكبر فى تلقين النشئ القيم وتحديد نوع القيم التى يجب أن يؤمنوا بها والقيم الفاسدة التى يجب أن يرفضوها . لقد لعبت الأيديولوجيات الغربية دورا هاما فى تحديد القيم التى تلقن للمتعلم وبذلك ربطت وظيفة التعليم بالقيم ، فإذا كان الإطار الإجتماعى يقوم على أساس القيم الإشتراكية أو الديمقراطية (الرأسمالية) كان على المدرسة أن تكسب التلاميذ هذه القيم الاشتراكية أو الديمقراطية كما تكسبهم المهارات المختلفة اللازمة للسلوك الاجتماعى فى هذا الإطار

وإذا كان الإطار الاجتماعى يقوم على أساس القيم البراجماتيه كان على المدرسة كذلك أن تكسب التلاميذ هذه القيم (٦) .

فأين نحن من هذه الأيديولوجيات أننا نعرف أننا لا نؤمن بهذه الأيديولوجيات فكيف نؤمن بالقيم التى ترتبط بها ؟

إن لنا عقيده وليست أيديولوجية عقيدة سماوية قد حددت من خلال منهجها القيم التى يجب أن تلقن للنشئ ويسير على هديها الكبار كذلك هذه القيم هى القائمة مع الفطرة " ذلك الدين القيم فطرة اللّه التى فطر الناس عليها " هذا الدين الذى يغرس القيم المعتدله " دينا قيما ملة إبراهيم حنيفا "" وما أمروا إلاّ ليعبدوا اللّه مخلصين له الدين حنفاء ويقيموا الصلاة ويؤتوا الزكاة وذلك دين القيمة " (٧) .

إن مناهجنا فى الأغلب والحمد للّه مناهج إسلاميه قائمة على مبادئ هذا الدين الحنيف وتلقن للنشئ القيم الإسلامية ولكن علينا أن نعى جيدا العلاقة بين التعليم والقيم ونفرد لها درسا خاصا ونبرزها من وسط المناهج الأخرى أنه من الممكن استقرار الشريعة الإسلامية وإستخلاص القيم الإسلامية من أصولها الكلية وفى هذه الحال سندرك حقيقة لم يدركها الغرب حتى الآن وهى أن القيم الإسلامية هى فى حقيقتها قيم إنسانية تتوافق مع الفطره البشريه ، إن ما أصابنا اليوم من تخلف سببه ، إننا فصلنا بين ما جاء به الدين وما تقتضيه الطبيعة الإنسانية وفى الحقيقة أن الفصل بين ما جاء به الوحى وماتتطلبه الحياه الإنسانية فصل تعسفى خاصه فى الإسلام ، لأن الدين من أهم أساسياته هو نشر القيم فى نفوس البشر والدين الذى لا يقوم بهذه المهمه لا يعد دينا على الإطلاق .

إن القيم التى يجب أن نعلمها لأبنائنا هى القيم الإسلامية الأصلية التى تتلاءم مع واقع الإنسان فهى ليست قيم مثاليه بعيده عن

الواقع وإنما هى جزء أصيل من كيانه وهى أيضا جزء أصيل من الهـــدى الإسلامى وجزء أصيل من التراث العربى (٨) .

إن ضرورة تعليم القيم مسئوليه جماعية ولكن العبء الأكـبر من هذه المسئولية يقع على عاتق واضعى المناهج التعليمية والموجهـين لها والقائمين على تدريسها - إذا يجب عليهم أن يميزوا بين القيـم الإسلامية الأصيلة والقيم التى دخلت علينا مع الإستعمار العســكرى والثقافى وعليهم أن ينبهوا الشباب الى الوسائل التى يستخدمها الغرب لكى يبث قيمه الفاسده وينشرها بين شباب الإسلام لكى يمحى شخصيته ويذيبه فى كيانات أخرى خارجه عن قيمه الأصيلة والتى لا تتعارض مع الدين فحسب ولكن مع الطبيعة البشرية .

ونريد أن نخرج قليلا من دائرة الفرد المتعلم وما واجـب المربين له الى أوسع قليلا لنعرف دور القيم فى تكامل بناء الفرد مـع المجتمع .

فإذا كانت القيم فى الإسلام مرتبطة بالعقيدة وبالتالى فإنها جزء من تكامل الفرد ، هذا التكامل الذى يؤدى فى النهاية الى بنـاء المجتمع المسلم على أسس راسخة من القيم الأصيلة .

فإننا إذا نظرنا الى تراثنا وما يحمله من ثوابت تحض الفرد وترتبط بينه وبين قيمه الأصيلة نجد أن من أبرز مميزات العقيـدة الإسلامية وهو فى نفس الوقت خصيصته التى تميز بها وتفرد بها عـن كل فكر آخر - هو أن الإسلام لم ينظر الى الفرد على أنه منفصل عـن واقعه (عن مجتمعه بينما الأيديولوجيات الأخرى والنظريات الغربيـة تقوم بعملية فصل بين كل علم من العلوم أو فلسفة من الفلسفات وبيـن تكامل الفرد (٩) .

لقد أقام الإسلام عقيدته ومنهجه الفكرى من منطلق أساس وهو

أن الإنسان ماده وروح ، وعقل وقلب وهو الى ذلك مسئول بحكم إرادته الحره عن عمله وملتزم بحكم إيمانه باللّه بالإلتزام الأخلاقى والتماس منهج الإسلام فى الحياة على ذلك النحو المرن الواسع الذى دعى الى الحركة فيه بوصفه خليفة للّه فى الأرض .

وفى ضوء هذا ومن هذا المنطلق تتشكل معطيات الفكر وتبدو كل جوانب العقيدة والإجتماع والإقتصاد والسياسة والتربية والتعليم والأخلاق واضحة فى علاقتها بعضها ببعض كعناصر تتمثل فى كل متكامل لا إنفصال بين معطياته ولا طغيان لأحدهما على الآخر .

فالأجزاء كلها تخدم الإنسان - ككل - وتحفظ له وجوده الفردى ووجوده كجزء من المجتمع ولذلك كلها تلتقى فى موائمه ، ودون تعارض لتحقيق هذه الغايه ولا تنفك عنها .

بهذا لا يكون هناك خلاف بين القيم المادية والقيم الإجتماعية والأخلاقية (١٠) .

إن مفهوم القيم الإسلاميه هنا مفهوم متكامل فهى ليست قيما إقتصادية وحسب ولا قيما إجتماعية فقط ولا قيما دينية وكفى وإنما هى قيم حضارية بالمعنى الذى ذكرناه آنفا وليس التقدم الحضارى من العوامل التى تستلزم التنازل عن قيم السلوك ولا القول بأنها قيم وضعت فى عصور أخرى .

ذلك لأن التقدم الحضارى فى مفهوم الإسلام ليس تقدما ماديا صرفا ولكنه تقدم معنوى ومادى معا ولن يحول التقدم بهذا المفهوم بين قيام الأخلاق وإستمرارها بل هو يجرى معها فى طريق واحد (١١) .

والقيم فى الإسلام تشتمل على علاقتين لا إنفصام بينهما علاقة الإنسان باللّه وعلاقة الإنسان بالمجتمع الذى يعيش فيه وليس من قيم

الإسلام أن الدين علاقة مع اللّه ولا صلة لها بالمجتمعات أو الحضارات الإنسانية .

إن الإسلام بهذا المعنى لا يقرر النسبية فى القيم أو زمانيتها أو إرتباطها بالبيئات أو العصور ، فالقيم الإنسانية هى قيم ثابتة مرتبطة بالإنسان من حيث هو إنسان لا يخضع للتغيير أنما الذى يتغير هى العادات والتقاليد المحدثة فهناك قيم ثابتة لا سبيل الى تغيرها وهناك قيم تتغير وتتطور مع الأزمان والأحداث .

أما القيم الأصيلة الثابتة فإن أى تطور حضارى أو تغير فى نظام المجتمع لا يقضى عليها ولا يترخص لتأويلها .

وليست قيم الإسلام قيم عصور مضت أو بيئات بدوية - كما تردها أقلام الحاقدين على الإسلام - وإنما نزل القرآن الكريم للعالمين جميعا وللأزمنة والعصور على نحو سمح مرن يضع الأصول والضوابط - ويفسح الإطار الواسع للتحرك والتطور والتغير فلا توصف قيمة بأنها قديمه أو بدويه أو خاصة بأمة أو عصر .

وهناك حقيقة أخرى يجب أن نقف عندها وهى أن المجتمعات الإسلامية تعتمد فى بنائها على مفهوم التوحيد فليس هناك جنس ولا عرق ولا لون وإنما هناك الوحده الإيمانية " **يأيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم** " (١٢) .

هذا المجتمع يختلف فى مقدراته وغاياته وقيمه وتكامل الفرد ودوره فى بناءه عن المجتمعات الأخرى والتى تستهدف التقدم المادى وحده وتنكر دور الفرد فى تكامل وحدة المجتمع وليس معنى ذلك أن الإسلام يرفض قيم التقدم المادى ولكن للإسلام مفاهيمه فى العلم وله مفاهيمه فى الفن وفى التقدم والتطور ولكن على نحو قد يختلف عن

مفاهيم المجتمعات والحضارات الأخرى ومن هنا فإن للمجتمع المسلم ذاتيته الخاصة التى تحول بينه وبين الأنهار أو الاحتوار (١٣) .

وهكذا نجد أن المجتمع المسلم قد تفرد بهذا الأمر دون سواه من المجتمعات فوحدة المجتمع وتكامل وترابط أفراده مرتبط بوحدانية القيم .

فهل هناك بناء أقوى من هذا البناء الذى يحافظ على الفرد والمجتمع من خلال قيم ساميه وخالده .

وهل تستحق هذه القيم أن تكون هى السائدة والغالبه والتى يجب أن نعلمها للنشئ ونتعلم منها نحن الكبار .

٢ - العمل كقيمه بين الإسلام والغرب

هناك إعتقاد خاطئ أن البراجماتى إنسان وأن البراجماتية صفة مميزه للشخص ولكن هل ياترى من يعتقد ذلك يعرف ماهى البراجماتية ؟

يعرف وليم جيمس البراجماتية بقوله " إن الطريقة البراجماتية هى فى الأصل وبصفة أولية طريقة لحسم المنازعات الميتافيزيقية التى لولاها وبدونها ما كان يمكن لها أن تنتهى " هل العام واحد أو متعدد ؟ " - أهو مسير أم مخير مادى أم روحانى؟ هنا أفكار أى منها قد يحمل فى طياته أو لا يحمل خيرا للعالم والمنازعات بشأن مثل هذه الأفكار لا تنتهى .

إن الطريقة البراجماتية فى مثل هذه الحالات هى محاولة تفسير كل فكرة يتتبع وإقتناء أثر نتائجها العملية كل على حده (١٤) واللفظ فى الأصل مشتق من نفس الكلمة اليونانية التى تعنى العمل والتى يؤخذ منها كلمتا مزاولة وعملى وأول من أدخله فى الفلسفة تشارلزبيرس فى سنة ١٨٧٨ ولكنه ظل مهملا حتى جاء وليم جيمس ١٨٩٨ فاحياة ومن ثم إنتشرت كلمة البراجماتية وهذا اللفظ صادف ظروف إجتماعية كانت متلهفة الى العلم والإدراكات المحسوسة فوافق المصطلح هوى العصر الذى غلب عليه الطابع المادى وأخضع كل شئ الى قيمة المادية .

إن مبدأ البمراجماتية هو تبعا لما قال به وليم جيمس هو أننا لكى تصل الى الوضوح فى أفكارنا عن موضوع نحتاج نقط للنظر فى الآثار من النوع العملى التى يمكن تصورها متضمنة فى الموضوع .

ويقول جيمس أن الأفكار تغدو صادقة بقدر ما تعيننا على

الوصول الى علاقات مشبعه مع الأجزاء الأخرى لخبراتنا ، ففكرة تكون صادقة بقدر ما نعتقد أنها مفيده لحياتنا ، وفى فصل عن البراجماتية والدين يقول " جيمس " لا يمكننا أن ننبذ أى فرض إذا كانت النتائج مفيدة للحياة تتبع منه فإذا كان فرض اللّه يعمل عملا مشبعا بأوسع معنى للكلمة فهو صادق (١٥) .

إننا لو أمعنا النظر فى هذا الكلام الذى يلقيه منشأ البراجماتية نجد له دلالات خطيرة ظاهرها الرحمة وباطنها العذاب - فمن الواضح هنا أن النظرية البراجماتية تعمل من أجل هذه الحياة وليس هناك من إعتقاد بالحياة الآخره وهنا تختلف قيمة العمل عند البراجماتية عنها عند المسلمين ولا يأخذنا بريق اللفظ ، إنها فلسفة عملية أو تحبذ العمل لأن العمل عندها عمل باطل ليس له من هدف إلاّ إشباع الرغبات والنزوات ويحول الإنسان الى حيوان عملى ولا يرفعه عن حيوانيته الى طور الإنسانية إلاّ مفهوم العمل فى الإسلام .

كما أن النظرية البراجماتية تجعل من الإلَه فكرة ذهنية مشبعه للرغبات الفردية وما هذه الصوة الذهنية التى تتصورها البراجماتية للإلَه إلاّ صورة شيطان فى الفكر الإسلامى لأن اللّه عند المسلمين هو واضع الحدود للإشباعات الفردية وواضع الحدود للأوامر التى تكبح من جماعة الشهوات والإشباعات المحرمة أما فى البراجماتية ففكرة الإلَه مشبعة بلا حدود .

فإذا كان الإعتقاد عند " وليم جيمس " فى اللّه مرتبط بأنه فرض يمكن التحقيق من صدقه فى حالة ماذا كان هذا الفرض يؤدى الى غرض إشباعى إلاّ تتصادم هذه الفكرة مع رغبات الفرد وميوله التى لا حدود لها ولا ضابط لها إلاّ بقانون يضعه مشرع منزه عن الأغراض ولا مصلحة له فى تطبيق هذه الحدود ؟

هذه بعض المبادئ التى تعتمد عليها البراجماتية كأعمدة

رئيسية للنظرية ، وإذا نظرنا اليها نحن كمسلمين نجد أن القيم فيها مختلفة عن القيم الإسلامية التى تسمو فوق المحسوس وتنظر الى الجزاء الأخلاقى نظرة تختلف عن هذه النفعية البراجماتية ، وإذا قيل أن هذه نظرية فلسفية ولا يصح أن يوجه اليها النقد من منظور دينى تقول أن هذه النظرية هشه من داخلها والعقل أيضا يجد التناقض الصارخ فى هذه الأفكار يقول " براتراندرسل " عن هذه النظرية من الناحية العقلية البحتة يقول " وانا اجد فى النظرية صعوبات عقلية كبيرة فهى تفترض أن اعتقادا صادقا حين تكون آثارا خيره وإذا لزم أن يكون هذا التعريف مفيدا - وإذا لم يلزم فهو مقضى عليه طبقا للاختيار البراجمى - فيجب علينا أن نعرف أولا ماهو الخير ؟ وثانيا ماهى آثار هذا الإعتقاد أو ذاك ويجب أن نعرف هذه الأشياء قبل أن يكون فى وسعنا أن نعرف أن أى شئ " صادق " طالما أننا لا يحق لنا أن ندعوه صادقا إلّا فى حالة واحدة فقط هى بعد أن نقرر أن آثار اعتقاده خيره ويقول " رسل " بعد هذا النقد المنطقى أن النتيجة التى تنتهى اليها البراجماتية هى " تعقيد لا يصدق " .

ويوجه " رسل " سؤالا الى وليم جيمس فيقول " انه ينبغى لك - طبقا لرأى جيمس أن تقول بأن تقديرك لنتائج الاعتقادات الاخلاقية والواقعية معا تقدير صادق لأنه لو كان كاذبا فان حجتك عن صدق اعتقادك مخطئة ولكن أن تقول أن اعتقادك من حيث النتائج صادق هو تبعا " لجيمس " بمثابة قولك أن له نتائج خيرة وأنه بدوره سيكون صادقا فقط إذا كانت له نتائج خيره وهكذا الى مالا نهاية ويواضح أن هذا غير متفق مع قواعد العقل والمنطق (١٦) .

وصعوبه أخرى فى النظرية البراجماتية وهى أنه إذا كان فرض اللّه يعمل عملا مشبعا بأوسع معنى للكلمة فهو صادق فإن هذا الفرض يغفل ببساطة كمسأله غير ذات أهمية ماذا كان اللّه فى الملأ الأعلى فإذا كان فرضا نافعا فهذا يكفى وهنا لا يعير اهتماما باللّه كخالق

لهذا الكون وكل الصفات التى يضيفها الإسلام الى اللّه يلغيها فـــرض " جيمس " هذا فليس اللّه الرازق لأن الرزق لا دخل له فى الاعتقـــاد وليس اللّه حاكما بين العباد لأن كل فرد يعقل مايشاء طالما فى ذهنه فكرة اللّه الذى يحرك عواطفه فيحدث له الإشباع .

أليست هذه الفكرة البراجماتية تشبه الفكرة العربية فى العصر الجاهلى فى الاعتقاد عندما كان البدوى يضع الإلَه فى التمر فاذا جـــاع أكله وجعله ماده لإشباع رغبة الجوع أو أنه يحمل الإلَه معه فى السفر لكى يكون أنيسا له يحميه من أخطار الطريق فإذا ما عاد من سفـــره ألقى به فى ركن من الدار ؟

واضح أن فكرة " جيمس " عن الإلَه هى فكرة وثنية تعيـــد الى الأذهان مدى تخلف من يعتنقها .

إن البراجماتية تحاول أن تظهر بأنها إتجاه مؤمن وأنها تبـدى إهتماما بالموضوعات التى يحض عليها الدين وجيمس يريد للنـــاس أن يكونوا سعداء فإذا كان الإعتقاد فى اللّه يجعلهم سعداء فهذا الاعتقاد صادق فى هذه الحاله فقط ولكنه لا يقدم الايمان باللّه على السعـــادة وإنما يقدم السعادة فهى موجودة وبهذا يكون اللّه عند جيمس هو إنسان واقعى وليس مجرد إلَه له كل صفات الكمال .

هذه أشياء سريعة عن البراجماتية التى تبهر البعض وتضـــلله فهى محاولة لتشييد البناء فوقى للاعتقاد على أساس الشكلية وتتبـــع المغالطات فيها من محاوله لتجاهل كل الوقائع المتجاورة للبشر أليس ذلك شكل من أشكال النزعة الذاتية ؟

إن الإسلام يعرف النظرية العملية ويعرف العمل ويقدره ولكـن هناك فرق بين مفهوم العمل فى الاسلام ومفهومه عند البراجماتية .

فالأفكار التى تؤدى الى حقيقة مثمرة فى الإسلام لها أهميتهـــا

ولكن الإسلام يعلو ويتسامى عن هذا الفكر البراجماتى فهو لا يعرف ولا يرضى بهذه الذاتية التى تؤثر مصلحتها على غيرها ولا يعينها المجتمع الذى تعيش فيه وبذلك فإن المصلحة فى الاسلام هى المصلحة المرسلة أى المطلقة التى يعمل الفرد من خلال مجتمع يهدف الى ترقيته دون أن ينعزل عنه ودون أن يذوب فيه فللفرد استقلاليته ولعمله قيمته ومكانته والمجتمع يقدر هذا العمل ومكانة هذا الفرد فيه بقدر ما يشارك الفرد المجتمع فى هذه القيمة .

والبراجماتية تتفق مع الماركسية فى قيمة العمل وإن اختلفا فى حقوق العامل .

وإذا كانت البراجماتية تقول بفكرة الاله المشبع للرغبات فان الماركسية قد جعلته عقبه فى تحقيق قيمة العمل وقد استبدلوا الايمان باللّه بالعمل كقيمة فالسياسة والدين والفلسفة والفن فى آية حقبة من حقب التاريخ البشرى تكون طبقا لرأى ماركس نتاجا لطرائقها فى الانتاج والى حد أقل فى التوزيع ويطلق على نظرية ماركس " التصور المادى للتاريخ " هذه قضية هامة للغاية لأن ماركس يعتقد فى صدق نظرياته وهو لا ينظر اليها على أنها ليست إلاّ تعبيرا عن مشاعر طبيعية عند يهودى المانى ينتمى للطبقة المتوسطة فى منتصف القرن التاسع عشر بل على أنه قد جاء بدين جديد ولقد هيئا ماركس فلسفته فى التاريخ فى قالب أوحى به اليه الجدل الهيجيلى ولكن الواقع أنه كانت هناك ثلاثة موضوعات استأثرت باهتمامه الأول : النزعة الاقطاعية متمثله فى صاحب الأرض والنزعة الرأسمالية ويمثلها صاحب العمل فى الصناعة والنزعة الاشتراكية ويمثلها الأجير وقد ارتأى هيجل أن الأمم أدوات لنقل الحركة الجدلية وقد استبدل ماركس بها الطبقات وقد أنكر دائما كل أسباب أخلاقية أو إنسانية لا يثار الاشتراكية أو اتخاذ جانب الأجير ، وقد ذهب الى حد الاعتقاد بأن الاشتراكية متى قامت فانها تخدم السعاده الانسانية بأكثر مما فعل الاقطاع أو

الرأسمالية .

وإذا نظرنا الى ماركس نظره فاحصه نجد عنده نقائض خطيرة فهو عملى الى حد الاغراق وهو مستغرق الى حد كبير فى مشكلات عصره الذى عاش فيه ومدى رؤيته محدود داخل هذا الكوكب بحدود الإنسان ولسبب اعتقاده فى أن التقدم لا مندوحه عنه لسبب هذا الاعتقاد فقد ظن ماركس أن من الممكن الاستغناء عن القيم الخلقية وقد أعلن ماركس نفسه ملحدا ومع ذلك فقد احتفظ بتفاؤل كونى لا يمكن أن يبرره إلاَّ الايمان (١٧) .

ان الاشتراكية تقول للناس بلسان الحال أو بلسان المقال اتركوا عقيدتكم وخذوا هذه العقيدة .

والاشتراكية فوق ذلك تبدو للناس - وللشباب خاصة ذات هدف جاد يستحق أن يعاش من أجله وأن يعمل من أجله بينما تميع الغرب وتفكك وانحل فلم يعد له هدف جاد يحيا من أجله غير الانتاج المادى وهو هدف لا يشبع النفوس .

ومن أجل ذلك تملك الاشتراكية فى مجال حرب القيم الاسلامية أكثر مما تملك البراجماتية (١٨) .

إن الذى يعنينا فى هذا المقام أى البراجماتية والاشتراكية على السواء ينشران قيما تخالف القيم الاسلامية الاصيلة ولقد عرف الاسلام العمل كقيمة سامية ، يقول الرسول العظيم " من بات كالا من عمل يده بات مغفورا له " وأيضا نهى الإسلام عن استغلال الأجير ومع ذلك فان الاسلام قد تميز بميزه لم يميز بها دين أو فكر فلسفى على مدى العصور وهو ربط العمل بالايمان " ان الذين آمنوا وعملوا الصالحات "، " من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلنحينه حياه طيبه ولنجزينهم أجرهم بأحسن ماكانوا يعملون " ، وآيات أخرى كثيرة تدل على العلاقة الوثيقة

بين العمل والايمان وهذا أمر قد تفرد به الاسلام وجعل العمل أمـــرا ساميا مرتبط بالعقيدة السامية .

كما أن العمل فى الإسلام هو عمل لمنفعه الفرد والمجتمع فـــى الحياة الدنيا ثم عمل نافع بعد هذه الحياة فهناك أمل وهناك حيـــاة أخرى أفضل من هذه الحياة ولاسبيل الى الوصول اليها إلاّ بالعمل ولكـــن ليس أى عمل ؟

ولكن الأعمال الصالحة ، الأعمال الطيبة ، الأعمال الخيره .

إن الإسلام عندما وضع العمل كقيمة لم يكن دافعه معالجة قصور وقع فى عصر معين وإنما كان القصد معالجة الإنسان كإنسان فى كلزمان ومكان .

ويتلخص نظرية الاسلام فى العمل فى أن الاسلام يدعو الناس الى العمل ويحظر عليهم القعود والكسل بقوله تعالى " **فامشوا فى مناكبهـــا وكلوا من رزقه واليه النشور** " . وحذرت السنة المطهرة من القعود عـــن طلب الرزق فيقول الرسول "ص" لأن يأخذ أحدكم حبله فيحتطب عـــلى ظهره خير له من أن يسأل الناس أعطوه أو منعوه .

وهكذا نجد أن الاسلام يمجد العمل سواء كان عملا عظيمـــا أم كان عملا متواضعا .

وفى ذلك يقول اللّه تعالى " **وقل اعملوا فسيرى اللّه عملـــكم ورسوله والمؤمنون** " ثم أن القرآن الكريم بعد أن يشيد بالعمل ويؤكـــد على المطالبه به يربط مصير الانسان بالعمل فى أمور الدنيا والآخـــرة جميعا .

وهكذا نجد أن الإسلام يمجد العمل ويؤكد المطالبه به بصوره لن توجد فى أى نظام ولا فلسفة أخرى أفضل وأنفع منها .

٣ - قيمة الزمن بين الإسلام والغرب

هناك علاقه وثيقه فى الإسلام بين الزمن كقيمه وبين العمـــل ، فالإسلام يبين أن الإنسان فى هذه الحياة محصور بين زمن معين محـدد ومنذ أن يولد فانه يقطع الزمن الى الامام ومن الصعب أن يسترجع هذا الزمن مره أخرى ولذلك يعد الوقت من أنفس مايملكه الانسان ، وكـان على العاقل أن يستقبل الزمن استقبال الذى يحرص على ثروه هائـلة لا يفرط فيها بسهولة وعليه أن يستمر كل لحظة من لحظات حياته .

والقرآن الكريم ينبه على قيمة الوقت ويحث على العمل قبـل أن تفوت الفرصه فيذكر حال الإنسان عندما يفقد الزمن ويتمنى أن يعـــود ليحقق فيه ما كان فى إمكانه تحقيقه لولا إهماله لهذه القيمه بقولـــه تعالى " **حتى إذا جاء أحدكم الموت قال رب ارجعون لعلى أعمـــل صالحا فيما تركت كلا إنها كلمه هو قائـلها ومن ورائـهم بـــرزخ الى يوم يبعثون** " (١٩) .

إن الإحساس بالزمن والوقت يلذع الذين توهموا الخلود حـتى إذا جاء أحدهم الموت قال رب ارجعون لعلى اعمل صالحا فيما تركت انه مشهد الإحتضار وإعلان التوبه عند مواجهة الموت وطلب الرجعه الى الحياة ، لتدارك ما فات والإصلاح فيما ترك وراءه من أهل ومال (٢٠) وكأنما يريد الإنسان أن يستدرك قيمة الزمن الذى ضاع منه ولكن كـــلا فهذه الكلمة تدل على أن الزمن لا يرجع ولا يعود وهذا ما نشأ هذه فـى حياتنا العملية .

إن الإحساس بالزمن هو إحساس صادق إذا قيست أيام الدنيا بأيام الآخرة ، ولكنه إحساس مخدوع مضلل لمن مرت به الأيام والليالى والشهور والدهور ومع ذلك فهو فى غفله عن يومه وغده .

إن المسلم الحق يغالى مغالات شديده بالوقت لأن الوقت هو عمره فإذا سمح بضياعه وترك العوادى تنهيه فهو ينتحر بهذا المسلك الطائش .

والإسلام يعرف قيمة الوقت ويقدر خطورة الزمن ويجعل من دلائل الايمان وإمارات التقى أن يعى المسلم هذه الحقيقة ويسير على هداها .

ولأهمية الزمن فقد وزع الإسلام عباداته الكبرى على أجزاء اليوم لتكون ناقوسا ينبه الإنسان الى غده وماضيه فالصلوات الخمس تكنف اليوم كله وأوقاتها تطرد مع سيره ليعرف الانسان مقدار ما قطع من اليوم ويأخذ قسطا من الراحة لكل فترة بين صلاة وأخرى وكل صلاه يعقبها عمل " **فاذا قضيت الصلاة فانتشروا فى الأرض وابتغوا من فضل اللّه** " (٢١) .

إن عمر الإنسان فى الإسلام هو رأس ماله ولسوف يسئل عن ما ينفعه منه وكيف يتعرف فيه يقول الرسول صلى اللّه عليه وسلم " لا تزول قدما عبد يوم القيامه حتى يسئل عن أربع :- عن عمره فيما أفناه ؟ وعن شبابه فيما أبلاه ؟ وعن ماله من أين أكتسبه وفيم أنفقه ؟ وعن علمه ماذا عمل فيه ؟ (٢٢) .

وإذا نظرنا الى هذه الأمور التى يجب على الإنسان أن ينتبه اليها نجد أن عنصر الزمن داخل فيها جميعا فهو يعرفنا أهمية العمر كله ثم يخصص مرحلة الشباب بالذات لأنها مرحلة الإزدهار وأما عن المال والعلم فهما يخضعان كذلك لعامل الزمن إذ هما مرتبطان بكيفية الاكتساب وأن العمل والزمن لا ينفصم أحدهما عن الآخر ونتيجة العمل يكون المال والعلم .

ومن استغلال الإسلام للوقت بأفضل الوسائل حثه على مداومة العمل وإن كان قليلا وكراهيته للكثير المنقطع وذلك أن استدامة العمل

القليل مع إضطراد الزمن وسيرة الموصول يجعل من التافه الضئيل زنه الجبال من حيث لا يشعر المرء .

ومن محافظة الإسلام على الوقت حثه على التبكير ورغبته فى أن يبدأ المسلم أعمال يومه نشيطا طيب النفس مكتمل العزم فان الحرص على الانتفاع من أول اليوم يستتبع الرغبة القوية فى ألاّ يضيع سائره سدى .

ونظام الحياة الإسلامية يجعل إبتداء اليوم من الفجر ويقترض اليقظة الكاملة قبل طلوع الشمس ويكره السهر الذى يؤخر الصلاة عن وقتها المسنونه فى الحديث الشريف " اللّهُمْ بَارِكْ لِأُمّتِى فِى بِكُورِهَا "(٢٣)

الوقت فى الاسلام قيمة دينية ودنيويه معا فالإنسان فى هذه الحياة يعمل فى مرحلة معينه ويعدها حساب فلا يكون هناك عمل وكان من الواجب أن يهتم المسلمون بهذه القيمة ويجعلون التصور الاسلامى للزمن نموذجا تطبيقيا عمليا لحياتهم اليومية ومنهجا يستقبلون به الحياه المتجدده فيعرفون قيمة العمل من خلال الزمن .

لقد كان ذلك مطبقا فى الصدر الأول من الإسلام حينما كان المسلمون يتقلبون النص القرآنى بقلوب خاليه من المؤثرات الأجنبية ولكن عندما خضعت الشعوب الإسلامية ولفترات طويلة للإستعمار العسكرى والإقتصادى والفكرى ، مات فيهم هذا الإحساس بقيمة الزمن لأنه لم تعد له علاقة بالعمل فالمسلم الذى عاش فى ظل الاحتلال وفى ظل ثقافه غربيه وفى ظل حكومات تعمل لحساب الغرب لم يعد يقتنع بأن عمله هو من أجل تقدمه وإزدهاره وإنما فى أعماقه أن عمله مسلوب وجهده مسروق فلماذا يعمل ومن هنا لم يعد للزمن قيمة فى نظره بل أصبح يعمل جاهدا على قتل الوقت يشغل نفسه باللهو والطرب والغياب عن الحياة والوعى وعدم الإهتمام بالأمور العامه والإهتمام بأمر المسلمين

مع أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم يقول فى " من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم " ويقول أيضا " من بات كلا من عمل يده بات مغفورا له ".

لقد أمات الغرب فينا الإحساس بالزمن عن طريق سلب الجهد وثمره العمل وفى نفس الوقت عرف قيمة الزمن وعلاقته بالعمل وطبق المنهج الاسلامى فى حياته العملية فتقدم وازدهر .

لقد تأثر الغرب بالإسلام فى أهم مبادئه وهى الربط بين الزمن والعمل كقيمتين مترابطتين لهما أهميتهما فى سير التقدم والإزدهار وعن طريق هذه العلاقه بين الزمن والعمل إتجهت أوربا إتجاها علميا وأصبح العلماء الغربيون يطبقون أهم ما توصل اليه المسلمون فى إتجاهاتهم العلميه فعلى سبيل المثال " روجر بيكون " هذا الرجل الذى تقول عنه أوربا أنه أبو المنهج التجريبى من أين إستمد أصول منهجه ؟ أنه قد صرح فى حياته مرارا بأنه قد تعلم من معاصريه باللغة العربية وعلوم العرب وهى الطريقة الوحيده للمعرفة الحقة (٢٤) .

ليست هناك وجهة نظر من وجهات العلم الأوربى لم يكن للثقافة الاسلامية تأثير عليها ، ولكن أهم أثر من وجهة نظرنا هو تعلمهم قيمة الوقت وكيفية الإستفادة من عنصر الزمن وربطه بعملية الإنتاج .

لقد كان المسلمون قوة عظمى عندما كان للوقت قيمته المعروفة فى الكتاب الكريم والسنة النبوية ، يقول " جورج سارتون " فى كتاب تاريخ العلم لقد بلغ المسلمون ما يجوز أن نسميه معجزة العلم العربى ويقول " وقد أوردت كلمة معجزة لترمز الى تفسير ما بلغ اليه المسلمون والعرب من الثقافة والعلم مما يخرج تقريبا عن نطاق التصديق (٢٥) وكما كان للعامل الوقت أهمية كبرى فى التقدم الإسلامى فى الماضى كان أيضا إهمال هذا العامل أو هذه القيمة من العوامل الهامة التى ربطت

المسلمين بالتخلف ولا يمل الغرب فى أن يميت عندنا هذا الجانب جانب الإهتمام بالزمن فيشغل الوقت ووقت الفراغ فحسب - وإنما كل الوقت بالمغريات التى يطرحها بريق الحضارة تحت الأضواء وحول النار نار الشهوات واللذات والمتع مع سريان مذهب الاباحة والالحاد وتشبع الثقافات بها ، وترويج القصص الجنسية لها .

ومن شأن وسائل الإغراء بالصور العارية والكلمة المكشوفة أن تقدم فى هذا المجال مالا يدع للنفس العربية الاسلامية ولا للعقل العربى الإسلامى مجالا للبحث عن قيم الأخلاق والإيمان والتوحيد ظنا منهم أنها ستذوب كلها تحت ضربات معاول الهدم الصارمه وفى نفس الوقت إماته الإحساس بالزمن الذى من أهم استثماراته هو العمل .

إننا إذا أردنا اليقظة والنهضة والتقدم فعلينا أن نعود الى الوعى بقيمة الزمن وأن نعيد النظر فيما يقدم من الغرب ونرفض منه كل ما يعمل على تخلفنا .

وللأسف فإن القرآن الكريم لم يترك صغيره ولا كبيره فى مجال القواعد الكلية للحياة والقيم الضرورية لتقدم الإنسان ورفاهيته إلّا ذكرها ومع ذلك فنحن عنها غافلون .

إن القرآن الكريم يحذر من الغفلة وينبه دائما على اليقظة وهذه قيمة كبرى لأن الإنسان المنتبه هو الإنسان الحريص على وقته أما الغافل فهو الذى يفلت منه الوقت قبل أن يحقق مايريد ومايطمح فيه . فيقول ياليتنى ؟

ولذلك يجعل القرآن الكريم أمر الساعة خفيا وهذا فيه دعوه للعمل الجاد لأن الإنسان الذى لا يعرف متى ينتهى الزمن بالنسبة له هو فى نفس الوقت يريد أن يحقق السعاده لنفسه ويترك ثروه لمن بعده تكون تراثا لابد لهذا الإنسان من أن يسرع لكى يلاحق عجلة الزمن

يقول اللّه تعالى " **إن اللّه عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم مافي الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت** "(٢٦)

أننا نجد الغرب يرصد القيم النبيلة عندنا ويدرس أصولها ثم يأتينا بسلاح هدام لهذه القيم لكى يظل مجتمعنا متخلفا فنحن أصحاب القيم الحقيقية ولكنهم قد اقتبسوها منا وزوروا وصدروا لنا عوامل هدم لكل قيمة نبيلة عندنا (٢٧) .

إن الهدف الاستعمارى ليس هو تغريب المسلمين كما يظن البعض وإنما الهدف الحقيقى هو القضاء على الاسلام والمسلمين كيانا وعقيده وفكرا وثقافة وعملا وإيمانا بقيمة هذا العمل فهل نجح الغرب ؟ والى أى مدى سيواصل نجاحه ؟ إننا نقول ان الغرب إذا كان قد نجح لبعض الوقت فى تحقيق مخططه إلاّ أن هناك عاملين قد بدأ فى الظهور ومن شأنهما أن يتصديا لهذه الهجمة الغربية هذان العاملان هما :

١ - المبادئ السامية التى لن يستطيع أحد أن يقضى عليها وهى مبادئ اسلامية وفى نفس الوقت انسانية لن يكون سهلا على أى فكر وافد أن يقضى على هذا الجوهر الناصع القرأنى ولابد للماضى الاسلامى القائم على أسس حضاريه ودعائم أخلاقية وبنيان انسانى رفيع لابد وأن يعود المجد للاسلام ويعود المسلمون للبحث عن أمجادهم .

٢ - أن الشعوب الاسلامية بدأت والحمد للّه فى يقظة ونهضة وبدأ الكثيرون يتصدون للفكر الأجنبى وماهى إلاّ لحظات زمانية ويكشف الزمن عن طبيعة المحاولات الغربية الصبيانية التى لا يخفى سفهها عن عاقل .

لقد بدأ العقل العربى والاسلامى يبلغ أشده وان الوقت قد حان ليعرف كل إنسان ما أتى به الاسلام من قيم انسانية عالمية وان الرجوع

الى ذاتنا والى قيمنا الاسلامية فيه تحقيق للشخصية المسلمة المميـــزة بعمقها وتجربتها الفريده ، لقد كانت تبعية المسلمين للفكر الوافـــد نتيجه للاستعمار العسكرى والاقتصادى والتى اخضعت ارادته المقيـــده لهذه الظروف القاهرة .

ولذلك فإن عوامل التحرر من هذه التبعية سهلة ميسورة لأنها لم تنفذ الى الأعمال بل هى قشور ومعرفتنا بقيمة الزمن كفيلة بأن تنقـــض عنا غبار الزمن .

٤ ـ قيمة الولاء فى الإسلام

كان العرب كما نعرف جميعا قبل الإسلام قبائل متنافره متناثره لا تجمع على شئ على الرغم من وجود كل مقومات التجمع من وحدة الأرض ووحدة اللغة ووحدة الثقافة ووحدة التاريخ .

وقد كان يمكن على أقل تقدير أن يجتمعوا على قضية من القضايا التى يتجمع لها الناس فى جاهليتهم قضية قومية مثلا لطرد الفرس أو الروم من أطراف الجزيرة العربية أو قضية اجتماعية لتقريب الفوارق بين الغنى الفاحش فى ايدى فئة قليله من الناس والفقر المدقع الذى يتسربل به أغلب الناس ، ولكن ذلك لم يحدث وظلوا مختلفين ومن هنا انتشلهم الاسلام لا ليكونوا تجمعا قوميا كما يمكن أن يحدث فى أى جاهلية من جاهليات التاريخ ولا ليكونوا تجمعا وطنيا تحت قيادة زعيم منهم ينشئ منهم دوله موحده ذات كيان واحد وحدود معنية ولكن لينشئ منهم تجمعا فريدا فى التاريخ ، لينشئ منهم أمة العقيده التى استحقت أن توصف بأنها خير أمه أخرجت للناس .

إن الناس قد يلتقون وتقوم بينهم صحبة وصداقة ولكن على أى شئ يلتقى الناس ؟

انها أما أن تكون قرابة الدم ، وأما المصالح المشتركة وأما لقاء الشهوات ومن ثم فانها ـ مهما تقاربت وتلاصقت لا تصل الى حد الالتحام .

نوع واحد من الرباط لايحدث فيه ذلك التنافر لأنه يذيب ذلك السياج الزائف الذى ينصبه الانسان حول نفسه هو رباط العقيدة ذلك أنه ليس رباطا بين إنسان وإنسان فى محيط الارض ـ وعلى علاقات

الأرض ولكنه رباط فى اللّه (٢٨) .

من هنا نجد أن الإسلام قد جاء ليغير هذا النظام القبلى الذى يكون الولاء فيه للقبيله وللعصبيه القبلية وكانت هذه الظاهرة من أخطر الظواهر التى تواجه أى مجتمع لأن هذا النظام لا يعرف القيم الساميه خذ مثلا قيمة الحق أن الحق فى النظام القبلى هو ما يخدم أهداف القبيلة " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " وهنا لا يتحرى الإنسان القيم فى ذاتها ولا ينظر الى السلوك نظره متحضرة وإنما كل ما يقصده هو المحافظة على بقاءه وبقاء قبيلته فى نظام متماسك قوى .

جاء الإسلام ليغير من مفهوم الولاء فيحول المقوله " انصر أخاك ظالما أو مظلوما " الى معنى آخر وهو أن ينصر المظلوم أما الظالم فنصره هو منعه عن الظلم .

ثم وضع الإسلام مفهوما جديدا للأخوة فلم تعد الأخوة هى أخوة القبيلة ولا أخوة الدم ولا أخوة العصبية إنما أصبحت أخوة ايمانية **" إنما المؤمنون أخوة "** (٢٩) .

أصبحت الأخوة هى الأخوة الايمانية والافضلية والتنافس والشرف انما ينالهم الانسان نتيجة أعماله الخلقية والالتزام بالقيم السماوية السامية .

" يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند اللّه أتقاكم إن اللّه عليم خبير " (٣٠)

وكانت حياة الرسول صلى اللّه عليه وسلم ترجمه عملية لهذه المبادئ والقيم السامية وعلمها أصحابه بطريق عملى تدريبى فعندما عير أبى ذر الغفارى بلال بن رباح بأمه قائلا له " يابن السوداء " شكاه بلال الى رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فقال الرسول لأبى ذر

" انك امرؤ فيك جاهلية " ومعنى ذلك القول هو أن أبى ذر لم يتحول بعد من قيم الجاهلية الى القيم الاسلامية السامية لأن الاسلام مفاهيم وللجاهلية مفاهيم متناقضة معها فلو فهم أبو ذر هذا ما عير بلالا "وهذا ما أدركه أبو ذر على القور إذ كان اعتذاره هو وضع خده على الأرض والطلب من بلال أن يضع قدمه عليها . كيف تحول هؤلاء الناس من هذه القيم الفاسده البالية الى هذه القيم المتحضرة التى جاء بها الرسول العظيم ؟ إن ذلك هو الإيمان .

وإختيار الرسول صلى اللّه عليه وسلم لقواده وولاته على البلاد أو المعلمين والفقهاء أو القواد على الجيوش كان يقوم على معيار الايمان والتقوى والاخوة والمساواة وبذلك القى الرسول صلى اللّه عليه وسلم معايير الجاهلية فلم يعد للقبيلة أى شأن بتعيين قائد أو فرض سيادة ولم تعد للعصبية القبلية أو عصبية الدم التى يسميها القرآن " حميه الجاهلية " أى دور فى تكوين الامة الاسلامية الفتيه حتى أن الرسول صلى اللّه عليه وسلم عين أسامة بن زيد قائد لآخر الجيوش التى جهزها قبل انتقاله الى الرفيق الأعلى وكان تحت أمرة أسامة كبار الصحابه من المهاجرين السابقين الأولين ومن الأنصار الذين أيدوا ونصروا وعزروا رسول اللّه ودين اللّه .

كانت تحت أمره أسامة فى الجيش - ما الذى جعلهم يخضعون لذلك أنها الأخوة الايمان وقيمة الولاء للّه ولرسوله وللمسلمين جميعا .

وتابع الخليفتان أبى بكر وعمر سنه الرسول العظيم ونفذاها كما كان يريدها رسول اللّه فلم يكن لقرابه الدم أو القبيلة أو العصبية أى دخل فى حكم هذان الرجلان بل أن العواطف لم يعد لها أى أثر فى نفوسهم وإنما العاطفة الايمانية هى عاطفة الولاء للّه والولاء لدين اللّه .

ولقد استقرأ الفقهاء الصفات والمواصفات الايمانية التى يجب

أن تتوافر فى الانسان الذى يختار لتولى وظيفة عامة فى الدولة هـذه الصفات استقرأها الفقهاء من كتاب اللّه ومن سنة الرسول العظيم ومن هدى المنهج القويم يقول الماوردى فى كتابه العظيم الاحكام السلطانيقة ان هناك شروط يجب وضعها فى الاعتبار عند اختيار من يتولى الوظائف العامة ومن هذه الشروط :-

١ - العداله على شروطها الجامعه .
٢ - العلم المؤدى الى الاجتهاد فى النوازل والاحكام .
٣ - سلامة الحواس من السمع والبصر واللسان ليصح معها مباشرة مايدرك بها .
٤ - سلامة الاعضاء من نقص يمنع عن استيفاء المصالح .
٥ - الرأى المفضى الى سياسة الرعية وتدبير المصالح .
٦ - الشجاعة والنجده المؤديه الى حماية البيضة وجهاد العدو (٣١) .

هذه الشروط عامه وأخلاقية نرى من خلالها كيف تحول الولاء الجاهلى الى ولاء ايمانى نرى فيها شروط متحضره لاختيار ذوى الكفاءة والامانة والنصحاء لتكون الاعمال بالكفاءة مظبوطة والاموال بالامناء محفوظة (٣٢) .

إن الولاء هنا يكون للكفاءة والعلم والعدل والشجاعة والاقدام والاخلاص .. الخ .

كل هذا لم يعرفه أهل الجاهلية الأولى ولا أهل الجاهلية الثانية وانقلبت المعايير ورجع الناس الى الوراء فتخلخل النظام وضعفت القوة .

إننا إذا رجعنا الى التاريخ قليلا نجد أن المسلمين قد فهموا وتمسكوا بقيمة الولاء الجديدة ولذلك عندما خرج نظام الحكم فى عهد

الخليفة عثمان بن عفان ومن بعده بنى أميه وحاولوا إحياء العصبية القبلية والعصبية الجاهلية بدأ الإنهيار وبدأت الثورات ضدهم ، إن البعض قد يرى فى الثوار أنهم قد تهوروا وتسرعوا ولكن الذى يشفع لهم أنهم كانوا حريصين على أن تظل قيمة الولاء التى زرعها رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم ونماها الخليفان أبو بكر وعمر تظل كما هى لأن هذه القيمة من أخطر القيم السياسية وضياعها فيه ضياع للأمه ، يذكر ابن قتينة الدينورى فى كتابه الأمامه والسياسة الاسباب التى جعلت الناس ينكرون على عثمان خلافته وكانت سببا فى قتله فيقول " وذكروا أنه اجتمع ناس من أصحاب النبى صلى اللّه عليه وسلم فكتبوا كتابا ذكروا فيه ما خالف فيه عثمان من سنة رسول اللّه (ص) وسنة صاحبيه وما كان من هبته خمس افريقية " لمروان " وفيه حق اللّه ورسوله ومنهم ذوو القربى واليتامى والمساكين ومنها (أى من الأسباب) ما كان من إفشاء العمل والولايات فى أهله وبنى عمه من بنى أميه احداث وغلمه لا صحبه لهم مع الرسول ولا تجربة لهم بالامور مع تركه المهاجرين والانصار لا يستعملهم وهم أهل الكفايات ... الخ (٣٣) .

فالثورة إذا كانت من أجل المحافظة على قيمة الولاء الذى تبدل من ولاء اللّه الى ولاء للعصبية القبلية ، وما أشبه اليوم بالبارحة فنحن اليوم أو بمعنى آخر منذ عهد عثمان حتى اليوم وقيمة الولاء للّه غائبة وحلت محلها قيمة الولاء للشيطان وللأهواء وللرغبات وللعصبيات وكاد الناس ينسون قيمة الولاء وشروط التولى القائمة على التقوى والعدل والاحسان .

إن ما حل بالمسلمين ومازال حتى اليوم هو نتيجة تخليهم عن قيمة الولاء ولقد أصبحت كلمة تلوكها الألسنة دون أن يعرف المقصود من معناها فهناك من يفهم المقصود أن الولاء للوطن وهذا مفهوم استعمارى غربى قد غرسه الغرب فى نفوس المستقربين الذين نادوا بالدين للّه والوطن للجميع فأصبح الولاء للوطن أنشوده وأغنيه عند

البعض وهناك من يجعل الولاء للطائفة سواء كانت طائفة حزبيـــة أم طائفة عسكرية أو مهنية فماهى نتيجة هذا الولاء ؟

لقد نسى الناس أن الولاء للّه فيه كرامه وعزه للفرد وللمجتمـع فليس هناك فضل ولاء استعلاء لإنسان على آخر بل ان الجميع يستمـدون ولاءهم من اللّه تعالى ومن أعمالهم الصالحة ومن عدالتهم وكفاءتهم .

إن مايعانى منه المسلمون اليوم هو التخبط فى تحديد هـــذا المفهوم والتخبط فى تطبيق هذا المفهوم وإذا كان البعض قد بـــدأ يكتب حول هذا المبدأ فهذا دليل واضح على أننا كمسلمين قد افتقدناه وبدأنا نبحث عنه لأنه من العوامل التى تصاحب النهضة والتقدم وهـو جوهر النظام السياسى فى أى بلد وبمقدار تولى الكفاءات الذيـــن لا ينتمون الى عصبية معنية بمقدار ما ترتفع الأمة من حضيضها وتصحوا من نومها وتقف من كبوتها وتقال من عثرتها .

إن تولى الأقارب أو المحاسيب أو أصحاب الشلل المختلفة مـن طوائف أو تجمعات الولايات على هذا العيار يثير فى نفوس أصحـاب الكفاءات الأحقاد والضغائن وقد ينتهى الأمر بالثورة أو القتـــل أو التمرد .

كما أن تولية الأقارب أو أصحاب الطائفة إنما تنعكس بصورة خطيرة على طموحات الشباب والأفراد الذين يعملون جاهدين طمعا فى الحصول على وظيفة عامة أو ولاية هامة عن طريق كفاءتهم وقدراتهـــم فاذا ما كان الأمر بالمحسوبية فما هى الدوافع نحو العمل وإظهـــار الكفاءات ؟

والواقع إن عملية تولية غير ذوى الكفاءات أو الأقـــارب أو أصحاب المصالح المشتركة كل هؤلاء إنما تكون ولايتهم وبالا على الدولـة وعلى نظام الحكم فيها وعلى إقتصادها وهى من الاسباب الرئيسية لوجود

الظلم الإجتماعى .

وفى النهاية نقول إن الخطورة على نظم الدول والحكومات إنما تكمن فى فقدان هذه القيمة السامية التى لن يحدث التقدم أو النهضة بدونها ، ليتنا ننتبه قبل فوات الأوان ونلحق بركب التقدم معتمدين على قيمنا الاسلامية الاصيلة ، أنه لمن دواعى الأسف أننا نأخذ من الغرب أسوأ ما عنده ونترك من قيمنا أجمل ما فيها ، لقد تخلص الغرب من القيم الفاسدة التى كانت تحكمه بفضل تعلمه من الاسلام القيم السامية وعلى ضوء ذلك من ظاهرة تولى الوظائف العامة على شرط العصبية أو الشليلة (إن جاز التعبير) أو أى معيار آخر سوى معيار الكفاءة البحته والخبرة العملية والقدرة على العطاء والإنتاج والادارة أخذ الغرب هذه القيمة وصدر لنا القيم الفاسدة البالية لديه لكى نعتنقها بدلا من القيم الاسلامية الاصيلة .

إن العالم الثالث والدول الإسلامية فى المقام الأول يجب عليها أن تفيق من نومها وأن تنتبه الى هذه القيمة وأن تعود الى جذورها ولتجعل الولاء للّه والكفاءة والتقوى معيار الخيريه والتفاضل بين البشر .

٥ - قيمة المال بين الإسلام والغرب

يحفل عصرنا بالتناقضات المذهلة التى يتخذ بعضها شـــــكل المفارقات التى كانت تدخل فى عداد المستحيلات من قبل من ذلك :-

- ارتفاع إنتاجية عمل الإنسان مقابل تصاعد البطاله .
- النمو الاقتصادى البطئ مع التضخم النقدى الجامح .
- صعود الاقتصاد الرمزى بطبيعته الطفلية مع تراجع الاقتصاد العينى .
- إزدهار الاقتصاد غير الرسمى مع التنظيم المتزايد لأليات عمل الاقتصاد .
- تزايد الاعتماد المتبادل مع تصاعد التبعيه والحمايه والتعصب القومى .
- اضطراد التقدم العملى والتكنولوجى مع ازدياد المخاطر على الطبيعة (٣٤) .

وهكذا نجد الغنى المطلق متجاورا مع الفقر المطلق وصار الرجل العادى فى المجتمع الرأسمالى يتمتع بمستوى معيشه مرتفع لم يكن يحلم به منذ عشر سنوات فقد رفعته التكنولوجيا الحديثة الى عنان الفضـــاء لكنها جذبته هى نفسها الى عتبة تدمير ذاته بسهولة كبرى وتحولـــت فئات واسعة من المجتمع وخصوصا الشباب عن القيم الاسلامية المعـــبرة عن الاهداف الاقتصادية والاجتماعية القديمة .

وهنا نجد من الواجب علينا أن نقدم دراسة موضوعية وإن كانت غير وافية تماما لقصرها إلاَّ أننا سنقف على الخطوط العامة لقيمة المال فى الاسلام ثم نقارن بينها وبين قيمة المال فى النظم الاخرى سواء كانت غربية أم شرقية لأن الاسلام نظريته الخاصة والتى تتميز بانفرادها عـــن

هذه النظم ، ونحن فى الاسلام نجد أن المالك الحقيقى لكى شئ هو اللّه وقد جاء فى القرآن الكريم " **للّه مافى السموات والأرض** " (٣٥) وجاء فيه أيضا قوله تعالى " **قل اللهم مالك الملك تؤتى الملك من تشاء وتنزع الملك ممن تشاء وتعز من تشاء وتذل من تشاء بيدك الخير** "(٣٦) وآيات أخرى كثيرة تدل دلاله قطعية على أن المالك الحقيقى لكل مافى السموات والأرض ومنها الإنسان كذلك هو اللّه .

فما هو دور الإنسان إذن ؟ إن الإنسان خليفة فى هذه الملكية أو وكيل عن المالك الحقيقى ينوب عن اللّه سبحانه وتعالى ويتصرف فى المال بشرط هذه الوكالة .

" **وإذ قال ربك للملائكة أنى جاعل فى الأرض خليفة قالوا تجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ونحن نسبح بحمدك ونقدس لك** " (٣٧) .

ولكن هذه الإنابه لا يحصل عليها الفرد إلّا بتحقيق الشروط التى وضعها المالك الحقيقى وهو اللّه وأول هذه الشروط :-

١ - أن يعترف بأن المالك الحقيقى هو اللّه ومن ثم يقدم شكره على هذه النعمة " **واضرب لهم مثل الرجلين جعلنا لأحدهما جنتين من اعناب وحففناها بنخل وجعلنا بينهما زرعا كلنا الجنتين آتت أكلا ولم تظلم منه شيئا ... ودخل جنته وهو ظالم لنفسه قال ما أظن أن تبيد هذا أبدا وما أظن الساعة قائمة ولئن رودت الى ربى لأجدن خيرا منها منقلبا ، قال له صاحبه وهو يحاوره أكفرت بالذى خلقك من تراب ثم نطفة ثم سواك رجلا ، لكنا هو اللّه ربى ولا أشرك بربى أحدا** " (٣٨) .

٢- أن يؤدى ماعليه من التزامات وحقوق تجاه الغير :

" والذين فى أموالهم حق للسائل والمحروم " .

" والذين فى أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم " .

٣ - أن لا يكنز هذا المال بل يوظفه ف المجتمع فى مشروعات تخدم الناس جميعا فلا إحتكار ولا كنز للأموال فى الاسلام **والذين يكنزون الذهب والفضة ولا ينفقونها فى سبيل اللّه فبشرهم بعذاب أليم يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباهم وجنوبهم وظهورهم هذا ماكنزتم لأنفسكم فذوقوا ما كنتم تكنزون** " (٣٩) .

٤ - أن لا يجعله وسيلة للكسب عن طريق إستخدامه فى أغراض ربويه **" الذين يأكلون الربا لا يقومون إلاّ كما يقوم الذى يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل اللّه البيع وحرم الربا** " (٤٠) .

هذه بعض القواعد الكلية التى تحكم مفهوم المال فى الاسلام هذا التصور قد جاء فى القرآن الكريم يخاطب فى مكه اناسا يوجد أمثالهم فى كل عصر فهى قواعد كما كانت تنطبق على العرب قديما فهى الآن أشد ما تكون إنطباقا على عالمنا المعاصر الذى فقد كل القيم النبيله .

ونجد أن هذا التصور للملكية يقودنا بصوره ملموسه الى نقيض التصور الرومانى الذى قامت عليه التصورات الغربية فى العالم الرأسمالى .

ففى الحق الرومانى الملكية هى حق الاستعمال والاسراف وسوء الاستعمال ، وهذا المبدأ الرئيسى يشكل الاساس فى قانون " نابليون " وكل النظم الاقتصادية البرجوازية أنه يهب المالك حقا الهيا حقيقيا

فهو يستطيع أن يدمر بلا عقاب مايكون ملكيه له حتى ولو كان يتصرفه على هذا النحو يحرم المجتمع من مقومات حياته (٤١) وفى وسعه مراكمه الأموال بلا حدود وبالنظر الى اعتبار المشروع فى الحق الفرنسى على سبيل المثال كامتداد للحق المالى المورث فإن الحائزين على ملكيته يستطيعون وقف نشاطه ونقله الى حيازة الآخرين أو فصل هيئة العاملين فيه (٤٢) .

من هنا نجد أن هذا التصور الغربى لا يناقض التصور الاسلامى وحسب لكنه يناقض كل القواعد الانسانية فالملكية فى الاسلام يرجوعها الى اللّه تصبح مؤدية لوظيفة اجتماعية أن المال والجاه ف النظم الغربية هو كل شئ وليس وراءها مقياس ومن ثم فان تكالبهم على الحياة وعلى جمع المال عظيما وحبهم للمال حبا طاغيا مما يورثهم شراهه وطمعا كما يروثهم حرصا وشحا وقد اعتبر القرآن الكريم عدم التحاض والتواص على إطعام المسكين قبيحا مستنكرا كما يوجب التكافل فى الجماعة وفى التوصية الى الواجب والى الخير العام .

وهذه هى سمة الاسلام فهل للغرب مثل هذه الصفات ؟ إن هناك سورة صغيرة فى القرآن تسمى بسورة الهمزة تبين لنا الحالة النفسية للإنسان فى كل زمان ومكان ، هذا الإنسان الذى يؤتى المال فتستطير نفسه به حتى ما يطيق نفسه ويروح يشعر أن المال هو القيمة العليا فى الحياة القيمة التى تهون أمامها جميع القيم وجميع الأقدار أقدار الناس وأقدار المعانى وأقدار الحقائق وأنه من ملك المال فقد ملك أقدار الناس وملك كرامات الناس بلا حساب .

كما يحسب أن هذا المال إله قادر على كل شئ لا يعجز عن فعل شئ حتى دفع الموت وتخليد الحياة أما القرآن ومبادئ الاسلام فهى تكره من صاحب المال (٤٣) أن يستخف بأقدار الناس وكرامتهم بحكم ترفعه الاخلاقى وفى هذه السورة أيضا يلعن القرآن الكريم الذى يكنز

الأموال يقول تعالى " **ويل لكل همزة لمزه الذى جمع مالا وعدده أيحسب أن ماله أخلده** " (٤٤) .

إن إستقرار النظام الاقتصادى فى الإسلام على أسس إيمانية من شأنه أن يحقق العدل الاجتماعى الذى افتقده الغرب فالاسلام لا يعرف نظام الاحتكار للمال هذا النظام الذى يسود النظم الرأسمالية ، فالنظام الإسلامى يقوم على التوزيع العادل للدخول وعلى رفض الاحتكارات التى تمنع الأسعار من أن تعكس التكاليف .

إن الأهداف فى النظام الاقتصادى الاسلامى هى الهامة وما السوق إلاّ وسيلة لبلوغ هذه الأهداف ويذكر القرآن الكريم الناس بقوله "**رجال لا تلهيهم تجارة ولا بيع عن ذكر اللّه وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار** " (٤٥) .

إن الزكاة هى أحد الأركان الخمسة فى الاسلام وهى لا تقتطع من الأرباح فحسب وإنما أيضا من رأس المال إذا بلغ نصابا معينا . وهذا هو الشكل مالأولى للضمان الاجتماعى .

إن هذا المفهوم لم يتحقق فى النظام الذى أدعى أنه اشتراكى والذى ظهر عجزه وفشله جليا على الملأ فى الأونة الأخيرة كما أنه لم يتحقق فى النظام الغربى ولم تعرفه بعض بلدان الغرب مثل فرنسا إلاّ فى منتصف القرن التاسع عشر بعد صراع طبقى إستمر أجيالا ، هذا النظام كان مطبقا فى الإسلام كجزء من العقيدة قبل ثلاثة عشر قرنا (٤٦).

وثمة إبداع آخر إسلامى ينفرد به النظام الاقتصادى الاسلامى دون الغرب هو تأسيس ضرائب غير مباشرة تمس المنتجات الكمالية وقياسا على ذلك إنشاء إحتكارات الدولة ونظام الفلوس من أجل جميع المنتجات التى يتعلق بها رفاهية الجماعة وإستقرارها وكانت مبادئ هذا النظام موجود فى القانون العام الاسلامى منذ القرن العاشر الميلادى .

وميزة أخرى ينفرد بها الإسلام فى سياسة المال هى أن المال قيمة لها علاقة وثيقة بالأخلاق فهو ليس قيمة منفصلة وإنما هو قيمة لها مدلول دينى وهذه ميزه لم يعرفها الغرب ونحن نجهل هذه الحقيقة أيضا ونعتقد أن الدول القوية أو الغنية هى التى تملك عددا " ضخما من المصانع وتنتج مقادير هائله من الصناعات التى تغمر الأسواق فى كل أنحاء العالم .

وحقيقة الأمر أن هذه الدول لا تتاح لها القوة حالى يكون من وراء كل ذلك الإنتاج الضخم خلق متين يجمع أهلها ويشد بعضهم الى بعض ويعطف كل منهم على أخيه ، ويمنع عناصر الفساد وأسباب الفرقة والخلاف أن تتسرب الى صفوفهم وتنخر عظامهم .

إن الدول لا تسود ولا تعلوا بالحديد والنار ولا بالمال وحده ولكنها تعلوا بالخلق المتماسك وأعلى مصادر الخلق المتماسك وأعمقها جذورا وأدومها أثرا هو الدين .

وهذه هى الدول الغربية كما يقول المؤرخ الأنجليزى " توينبى " من قبل منذ الحرب العالمية الأولى وهى فى تدهور وإنحلال ومع ذلك فهى لى كامل مجدها الصناعى والآلى ولم يعوزها المال ولم تنفعها الآلات ولا المعارف الفنية ولا العلوم العقلية ولكن أعوزها الخلق والدين (٤٧) .

وخلاصة القول هى أن الإقتصاد الناجم عن مبادئ الاسلام :-

١ - هو على نقيض النموذج الغربى للنمو الذى يكون فيه الانتاج والاستهلاك معا غايات بذاتها إنتاج متزايد أكثر فأكثر وإستهلاك متزايد أسرع فأسرع لأى شئ مفيد أم غير مفيد ، ضار أم غير ضار ، أو حتى قاتل دون النظر بعين الإعتبار الى المقاصد الإنسانية فالإقتصاد الإسلامى فى أساسه القرآنى لا يستهدف النمو فحسب وانما يرقى كذلك الى التوازن والاعتدال فى الامور الاقتصادية .

٢ - إن هذا النظام الاقتصادى القائم على أسس اسلامية أصيلة لايتشابه مع النظام الرأسمالى (الأمريكى) ولا مع الجماعية (من النمط السوفيتى مثلا) مع فميزته الأساسية كما قال " جارودى " أنه لا ينصاع للآليات العمياء التى ينطوى عليها إقتصاد يحمل غاياته الخاصة فيه ذاته وإنما يكون منسقا ومحكوما بغايات أسمى إنسانية والهية مترابطة لا إنفصام فيها .

٣ - إن للمال فى الإسلام قيمة اجتماعية وله وظيفة الانسانية فهو مقوم من مقومات الحياة ومن ثم فهو حق للجميع ولكنه حق منظم .

لعلنا قد أوضحنا فى هذا العرض السريع العلاقة بين المال والأخلاق ورأينا أن المال فى الإسلام قيمة خلقية جعلها الفقهاء من ضمن القيم الخمس وهى الدين والنفس والمال والعرض والنسل .

هذا الأمر قد فقده العرب ومن ثم تدهورت الأخلاق فى ظل الرفاهية والتقدم المادى دون أن يكون هناك علاقة بين هذا التقدم والأخلاق الإنسانية الرفيعة .

ويمكن أن نلخص قيمة المال فى الإسلام كما يلى :-

١ - تقوم السياسة الاقتصادية فى الاسلام على أساس حماية المستوى اللائق لمعيشة كل فرد وأنه متى توافر لكل فرد وفى المجتمع الاسلامى حاجاته الضرورية بقدر الكفاية لا الكفاف باعتبار ذلك قوام الحياة الكريمة فإن الإسلام يسمح بالثروة والغنى لكل حسب جهده وعمله باعتبار ذلك زينه الحياة الدنيا .

٢ - ضمان حد الكفاية لكل فرد فى المجتمع الاسلامى هو حق مقدس تكفله الدولة الاسلامية لكل مواطن فيها بغض النظر عن ديانته أوجنسيته .

٣ - لا يقر الإسلام الاسراف والتبذير " **إن المبذرين كانوا إخوان**

الشياطين " ولا يسمح بحتال من الاحوال بالترف " **واتبع الذين ظلموا ما اترفوا فيه وكانوا مجرمين** " .

٤ - الإسلام لا يعرف ولا يقر الطبقية فضلا عن أن الناس جميعا لديه سواء والعامل الوحيد للتمييز بين الناس هو عامل التقوى بمفهوم الايمان والعمل لا بمفهوم المال .

٥ - على خلاف سائر السياسات والفلسفات الروحية يدعو الإسلام الى الرخاء الاقتصادى بل يعتبر الاسلام الغنى ويسر المادى هو أساس التقدم والسمو الروحى فصحه الابدايه فى الاسلام مقدمه على صحة الأديان وأنه لا يمكن أن تتوقع من محروم أو جائع مشرد سوى الرذيلة والإنحراف .

٦ - أساس الثروة والغنى فى الاسلام هو العمل فتفاوت الناس فى أرزاقهم ومعيشتهم ورفع بعضهم فوق بعض درجات ليس اعتباطا وإنما هو بقدر ما يبذلون من جهد وعمل صالح .

٧ - ومع ذلك فالإسلام لا يسمح بالتفاوت الكبير فى الثروة والدخول ومن ثم فإن من المقرر أن يتدخل الشارع الاسلامى لاعادة التوازن الاقتصادى عند افتقاده .

٨ - والاسلام حرم الاعتداء على المال أو أخذه بالباطل وقد وضع الحدود لصيانته وحفاظا على حقوق الناس " **السارق والسارقة فاقطعوا أيديهما جزاء بما كسب نكالا من الله** " .

٩ - نفر الإسلام وحذر من الكسب الخبيث وتوعد من يكسب ماله من غير الطرق المشروعه بالعذاب الاليم .

والإسلام حين صان الأموال وجعل لها حرمتها ووضح سبل التعامل

بها فى الطرق المشروعه ، أمرنا أن نعمل على تزكيه أموالنا وتطهيرها وتنميتها وذلك بدفع ما فيها من حقوق يستحقها الفقير والمسكين وذوو الحاجات خذ من أموالهم صدقة تطهرهم وتزكيتهم بها .

وهنا يستشعر الفقير مودة الغنى ويستشعر الغنى حب الفقير فتقلع من النفوس كل رزيله أو بغضا وتنمو بها الألفة والصفاء ويشرف المجتمع متحابا بروح اللّه ، هكذا يضع لنا ديننا سمات المجتمع الصالح (٤٨) .

٦ - قيمة المسئولية الاجتماعية

المسئولية الاجتماعية فى الاسلام تقوم على المساعدة العدل والعدل قيمة متألقة تتصدر كل القيم الثوابت التى يدعو اليها الدين فهو المقصد الأول للشريعة وكل السبل التى تكفل تحقيقه ، هى سبل اسلامية شرعية حتى لو لم ينص عليها الوحى أو ترد فى المأثورات بل إننا واجدون العدل إسما من أسماء اللّه الحسنى وصفة من صفاته سبحانه وتعالى .

والعدل فى العرف الاسلامى ضد الجور والظلم وهو يعنى جماع مزاج الاسلام وخاصة حضارته أى الوسيلة والتوازن (٥٠) .

والظلم محرم فى الاسلام تحريما قاطعا يقول اللّه تعالى فى الحديث القدسى " يا عبادى انى حرمت الظلم على نفسى فلا تطالموا " .

فاللّه لا يظلم الناس ويقول عن نفسه " وما ظلمناهم " ويقول " ولا يظلم ربك أحدا " ويقول " وما ربك بظلام للعبيد " ويقول " إن اللّه لا يظلم مثقال ذرة وان تك حسنه يضاعفها " ونفى سبحانه خوف العباد منه فيقول " من يعمل من الصالحات وهو مؤمن فلا يخاف ظلما ولا هضما " (٥١) .

وإذا كان اللّه تعالى قد نفى الظلم عن نفسه وطمأن العباد بأنه سوف يحاسب على كل صغيرة وكبيرة فعلى المجتمع أن يطمئن الى عدالة السماء ولا يخاف إنسان أن يظلم فإن ذلك يعنى أن المسئولية الاجتماعية فى أمن دون خوف وكل يعمل فى حدود ماهو مرسوم له لا يخشى أن يضيع عمله سدى .

وقوله تعالى **" من عمل صالحا فلنفسه ومن أساء فعليها وما**

ربك بظلام للعبيد " يدل الكلام على أنه تعالى لا يظلم محسنا فينقصه من احسانه أو يجعله بغيره ولا يظلم مسيئا فيجعل عليه سيئات غيره بل لها ما كسبت وعليها ما اكتسبت .

وهذه النصوص النافية للظلم تثبت العدل فى الجزاء وأنه لا يبخس عمله - ويبين سبحانه وتعالى أن عقاب المجرمين عدلا لذنوبهم لأنه يظلمهم " **وما ظلمناهم ولكن كانوا هم الظالمين** " .

وقضية العدل هذه كان من أهم وأخطر القضايا التى واجهت علماء الكلام المسلمين فلقد بحثوا فيها وأطالوا البحث وتعدت مباحثهم الى أمور لن يغنى ذكرها الآن كثيرا لأن مثل هذه القضايا الميتافيزيقية لم تعد بذات قيمة بالنسبة للمسئولية الاجتماعية ومن ذلك مثلا قول المعتزله ان اللّه لا يقدر على الظلم لأنه لو فعله لم يكن عادلا ، وفى مقابل المعتزله قالت بعض الفرق أن قول المعتزله هذا خارج عن حدود العقل لأن كل أفعال اللّه عدل وحتى لو فعل الظلم لا يسمى ظلما لأن الظلم هو الاعتداء على حق الغير وان كل ما فى السموات والأرض ملك للّه فلا يكون أى فعل للّه فيه ظلم بل أفعاله كلها عدل ... الخ .

خلاصه هذه الأمور أن المسلمين أدركوا قيمة العدل وبحثوا فيها لأنها قائمة على توزيع المسئولية الاجتماعية وتحديد علاقة الأفراد بعضهم بالبعض الآخر ، وإذا كان اللّه هو فوق الكل فهو الواحد وهو العدل وليس هنا من هو فوقه فكل الناس سواء وإذا كانت علاقة اللّه الحاكم بالبشر المحكومين هى العدل فان علاقة البشر بعضهم بالبعض يجب أن يحكمها العدل أيضا ولذلك يأتى باقى الحديث القدسى يقول " وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا " وهذه الجملة - كما يقول ابن تيمية - تجمع الدين كله فان ما نهى اللّه عنه راجع الى الظلم وكل ما أمر به راجع الى العدل ولهذا قال تعالى فى سورة الحديد " **لقد أرسلنا رسلنا بالبينات وأنزلنا معهم الكتاب والميزان ليقوم الناس بالقسط** " فأخبر تعالى أنه

أرسل الرسل وأنزل الكتاب والميزان لأجل قيام الناس بالقسط .

والظلم ثلاثة أنواع :

النوع الأول :

لا يغفر اللّه لمن يقع منه وهو الشرك باللّه " **فإن اللّه لا يغفر أن يشرك به** " .

النوع الثانى :

هو ظلم العبد لنفسه فيما بينه وبين ربه ومغفرة هذا النوع ممكنه (٥٢) .

وإذا كان التوحيد أصل صلاح الإنسان والإشراك أصل إفسادهم والقسط مقرون بالتوحيد إذا التوحيد أصل العدل وإرادة العلو مقرونه بالفساد إذ هو أصل الظلم فالتوحيد وما يتبعه من الحسنات هو صلاح وعدل ولهذا كان الرجل الصالح هو القائم بالواجبات حيال نفسه وحيال مجتمعه والرجل الصالح هو البر وهو العدل .

أما الفساد فهو الذى يتأتى من وقوع الذنوب التى فيها تفريط أو عدوان فى حقوق اللّه تعالى وحقوق عباده وهى فساد وظلم لهذا سمى قطاع الطريق مفسدين وكانت عقوبتهم حقا للّه تعالى لاجتماع الوصفين .

أما الذى يريد العلو على غير أبناء جنيسه فهو ظالم للبشرية باغ على غيره وهو ليس بأولى من غيره فى هذا العلو لأن كل الناس سواء من جنس واحد فالقسط والعدل ان يكونوا أخوه كما وصف اللّه المؤمنين بذلك .

يترتب على ذلك قضية منطقية وهى أن التوحيد أصل الاصلاح

وبذلك فهو أعظم أنواع العدل (٥٣) .

ويترتب على ما قلناه عدة أمور منها :-

١ - يجب أن يكون العدل هو قوام المجتمع ولا يمكن أن يعطله أى أمر يرجع الى العاطفة أو الهوى " **يا أيها الذين آمنوا كونوا قوامين بالقسط شهداء للّه ولا يجر منكم شئنان قوم على ألاّ تعدلوا** " .

٢ - وجوب القصاص على من أرتكب ذنبا أو تعدى على حد من الحدود المشروعه ولا يستثنى أحد من ذلك حتى يتحقق العدل .

٣ - الحكم بين الناس بالعدل وكل من حكم بين إثنين فهو قاض سواء كان صاحب ديوان أو منتصبا للاحتساب (الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر " أو كان قائدا فى معركة ... الخ .

فالقضاء عماد المسئولية الاجتماعية وقوام العدل فى أى مجتمع وهنا نجد أن المسئولية الاجتماعية فى الاسلام قيمة دينيه فهى ليست عملا نابعا من ضمير الفرد وحسب بل هى ضرورة تفرضها قواعد هذا الدين .

ولقد تشكل المجتمع الاسلامى بهذا السلوك الدينى بصورة عملية وكان الفقير والمريض واليتيم والأرملة هم موضع إهتمام المجتمع وليس ذلك أمر متروكا لضمير كل فرد بل جعله الاسلام ركنا أساسيا من أركانه ويتحقق هذا الأمر من خلاله إلاّ وهو ركن الزكاة .

فالزكاة من أهم القواعد العملية التى تشكل المسئولية الاجتماعية وكذلك الصدقة وهما إسمان لمعنى واحد .

وعن الزكاة يقول ابن القيم فى كتابه " زاد المعاد " يقول " هديه فى الزكاة (ص) أكمل هدى فى وقتها وقدرها ونصابها ومن تجب

عليه ومصرفها وراعى فيها مصلحة أرباب الأموال ومصلحة المساكين وجعلها الله سبحانه طهرة للمال ولصاحبه وقيد النعمة به على الأغنياء فمازالت النعمة بالمال على من أدى زكاته بل بحفظه عليه وتنميتها له يدفع عنه بها الآفات ويجعلها سورا عليه وحصنا له وحارسا له" (٥٤).

وابن القيم لا يتحدث عن الزكاة بقدر ما يتحدث عن فلسفة الزكاة فالوقت والقدر والنصاب وعلى من تجب ؟ هذه قواعد لو تغيرت لأصبحت فساد لا اصلاحا اجتماعيا .

فعندما نبحث فى الوقت نجد أن كل صنف من المال تجب عليه الزكاة فى وقت معين فأموال التجارة على اختلاف أنواعها تحسب عليها الزكاة كل عام مرة واحدة .

أما وقت زكاة الزروع والثمار فهو عند كمالها واستوائها وهذا عدل بين المالك والفقير لأنه لو كان وجوبها كل شهر أو كل جمعة فإن ذلك يضر بأرباب الأموال ووجوبها فى العمر مرة يضر بالمساكين فلم يكن أعدل من هذه التوقيتات .

أما عن قدرها فإن هناك فلسفة للشارع الحكيم فى ذلك فى غاية الدقة فلا يوجد هناك أقل ظلم لا للمالك ولا للآخذ ، يقول ابن القيم " ثم أنه فاوت بين مقادير الواجب بحسب سعى أرباب الأموال فى تحصيلها وسهولة ذلك ومشقته فأوجب الخمس فيما صادف الإنسان مجموعا محصلا من الأموال وهو الركاز ، والركاز هو مال وجد مدفونا فى موات أو طريق سابل مثل الاثار أو الكنوز أو البترول أو المعادن بصفة عامة التى توجد فى باطن الأرض اليوم (٥٥) فهذه عليها الخمس فى مصرف الزكاة لأن واجدها لم تحدث له مشقة كبيرة فى الحصول عليها وليست من كسبه وليس هناك وقت محدد لخروج زكاة الركاز بل أوجب فيه الخمس متى ظفر به .

وأوجب الشارع نصف هذه القيمة (أى العشر) فيما كانت مشقة تحصيله وتعبه وكلفته فوق ذلك مثل الثمار أو الزروع التى يباشر المالك حرث أرضها وسقيها وبذرها ولكنها تسقى بماء المطر بلا كلفة ولا شراء ماء ولا حفر بئر أو غير ذلك .

وواجب نصف العشر فى الزروع التى تولى العبد سقيها بالكلفة والمشقة ثم أوجب نصف ذلك وهو ربع العشر فيما كان النماء فيه موقوفا على عمل متصل من رب المال بالضرب فى الأرض تارة وبالادارة تارة وبالترويض تارة ولا ريب أن النصب والمشقة فى التجارة كما أن التجارة عرضه للخسارة ولذلك جاءت زكاتها أقل .

وهكذا اقتضت حكمة المشروع فى الاسلام ان جعل فى الاموال قدرا يحتمل المواساه ولا يجحف بها ويكفى المساكن ولا يحتاجون معه الى شئ فعرض فى أموال الأغنياء ما يكفى الفقراء وليست الزكاة فى الإسلام كما هو الحال فى نظام الضرائب التى تجمع حسب النظم المركزية ، ولكن الزكاة تجمع من الإقليم لكى توزع على أبناء الإقليم ذاته ولا تحمل الى غيره إلاَّ إذا زادت عن حاجة الإقليم .

يقول ابن القيم " من هديه (ص) إذا علم من الرجل أنه من أهل الزكاة أعطاه وان سأله أحد من أهل الزكاة ولم يعرف حاله أعطاه ولكن يخبره أنه لاحظ فيها لغنى ولا لقوى يكتسب وكان (ص) يأخذها من أهلها ويضعها فى حقها وكان من هديه (ص) تفريق الزكاة على المستحقين الذين فى بلد المال وما فضل عنهم منها حملت اليه ففرقها هو ولذلك أمر معاذ أن يأخذ الصدقة من أهل اليمن ويعطيها فقراءهم ولم يأمره بحملها اليه (٥٦) .

وهكذا نرى أن المسئولية الاجتماعية اذا كانت تقتضى تحريم الظلم وإشاعة العدل فانها تقتضى أيضا توزيع الثروة توزيعا عادلا

والوحى يربط بين العلى المقدس وبين قمة المخلوقات وهو الإنسان وواجب الإنسان أن ينفذ القوانين السماوية حتى يخلق تناسقا بين السماء والأرض وهذا أمر يمكن تحقيقه فى أحسن صوره فى مجتمع من خلال تنظيم يتمشى مع أعمق وأدق ما نادى به القرآن الكريم : العدالة بين الجميع ، العطف على الضعيف ، الرأفه والشفقة .

لقد كان للتعادل الأساس للسلوكين الدينى والاجتماعى أثره على شكل المجتمع الذى تطور فيما بعد ، لقد حدد الاسلام المكان الذى يجب أن يشغله كل فرد والأماكن التى تشغلها مختلف الفئات الاجتماعية للشعب ومنه أنبثق مظهر من أبرز مظاهر الاسلام وهو إيمانه الصريح بالمساواة بين الناس باعتبارهم بشر ومن هنا كانت مشروعية الزكاة والإحساس الفطرى بالضعف أمام اللّه يجبر كل مسلم على أن ينظر الى كل شخص على أنه مساو له أمام اللّه ومن ثم فان الفقير لا يمكن أن يحقر من شأنه والفقر لا يشين صاحبه والشحاذ فى اسما له يستطيع أن يأخذ مكانه فى الصلاة فى المسجد بين عدد من السادة وهو مرفوع الرأس لأنه يعلم أن الثراء منحة من اللّه تفرض على من اختصه اللّه به فعليه جزء من هذا الثراء حق عليه وليس منه ولا منحه وهذا هو المعنى الأساسى للمسئولية الاجتماعية .

لقد أعترف الغرب بالتميز بين الإنسان كفرد فى علاقته بأسرته فى علاقاته الاجتماعية أو كفرد فى منظمة اجتماعية أو سياسية وبين الانسان معبرا عن نفسه فى عبارات دينية يتضرع بها الى اللّه مثل هذا التميز لا وجود له أساسا ولا فطريا فى الإسلام (٥٧) .

وهكذا نجد أن الإسلام قد تفرد فى القيم وجعل لها دورا اجتماعيا فهى ليست قيم مثالية وإنما هى قيم اجتماعية تهدف الى رقى الفرد داخل الجماعة ومشاركا لها ومتحملا عبء الآخرين بقدر الدور الذى يناط به وهذا مالا يعتقده غير المسلمين .

خاتمة البحث

تجمع أغلب الفلسفات المعاصرة على أن الإنسان هو خالق القيم وليس لها خارج الفاعلية الإنسانية أى كيان واقعى ، فالانسان هو الذى أضفى على الكون كل مافيه من معنى .

يقول نيتشة " الحق أن الناس قد أعطوا أنفسهم كل خيرهم وشرهم ، والحق أنهم لم يتلقوه ولم يجدوه ولم يهبط اليهم من السماء " (٤٩) .

هذه النظرة قد وضح قصورها من العرض السابق للقيم إذا وضح أن القيم الفلسفية قد باءت بالفشل فى أنه تجعل الإنسان يعيش حياته سعيدا وهذه هى الغاية التى تهدف اليها فلسفة القيم عند جميع الفلاسفة .

وإذا كانت القيم الفلسفية قد فشلت فاننا بعرضنا لهذه القيم وإظهار القيم الإسلامية كحل حتمى لكل ما يعترض العالم من مشكلات فإن القيم الاسلامية تقدم الحلول وتحسم المشكلات .

وليست القيم الاسلامية هى قيم دينية وحسب ولكنها قيم انسانية كذلك وقد بحثنا فى كتابنا القيم الضرورية عن مدى مطابقة القيم الاسلامية لمقاصدهم الانسانية وإنتهينا الى أن مقاصد التشريع الاسلامى ومقاصد القيم الاسلامية هى نفسها مقاصد الإنسان فى كل زمان ومكان ، الإنسان المتجرد عن هواه والإنسان الذى يبغى الحقيقة الموضوعية بعيدا عن الذاتية والأغراض والشهوات .

ومن هنا جاء هذا البحث لكى يؤكد على ما سبق أن قلناه

ويبين أن هذه القيم التى جاءت مستوحاه من روح الشريعه الاسلاميـــة هى المخرج لهذا العالم من الدمار ومن الإفلاس الخلقى والاقتصادى الذى يعيشه اليوم .

هوامش البحث

١ - د. محمد عماره . الإسلام وحقوق الإنسان . عالم المعرفة . العدد ٨٩ ، شعبان ١٤٠٥ - مايو ١٩٨٥ ، ص ٧ .

٢ - محمد قطب . واقعنا المعاصر ، مؤسسة المدينة للصحافة جده ، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م ، ص ١٠١ .

٣ - المرجع السابق ، ص ١٠٣ ، بتصرف .

٤ - سعيد اسماعيل على . محنة التعليم فى مصر ، مجلة العلوم الاجتماعية ، عدد ٣ م ١٣ ، ص ٢٥١ ، بتصرف .

٥ - د. محمد لبيب النجيحى . التربية أصولها الثقافية والاجتماعية ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٨٤ م ، ص ١٠ .

٦ - أ.ك أو تاواى . التربية والمجتمع ، ت د. حبيب سمعان وآخرين ، مكتبة الانجلو المصرية ، ١٩٧٠م ، ص ٦٩ .

٧ - سورة البينة . آية (٥) .

٨ - د. فهمى محمد علوان . القيم الضرورية ومقاصد التشريع الاسلامى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب ، ١٩٨٩ م ، ص ١٦٠ - ١٧٠ .

٩ - أ.ك أو تاواى . التربية والمجتمع ، ص ١٤ .

١٠ - انظر فى ذلك الموافقات للشاطبى - المقاصد .

١١ - أنور الجندى . شبيهات التقريب ، ص ٣٥٠ .

١٢ - سورة الحجرات . آية (١٣) .

١٣ - أنور الجندى . شبيهات التقريب ، ص ٣٥٤ .

١٤ - وليم جيمس . البراجماتية ، ت د. محمد على العريان ، دار

النهضة العربية مصر ، ١٩٦٥م ، ص ٦٣ ، ٦٤ .

١٥- برتراند رسل . تاريخ الفلسفة الغربية ، الكتاب الثالث ، ترجمة د. محمد فتحى الشنيطى ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م ، ص ٤٧٣ .

١٦- المرجع السابق ، ص ٤٧٤ .

١٧- المرجع السابق ، ص ٤٢٥ .

١٨- محمد قطب . واقعنا المعاصر ، ص ٣٥٥ .

١٩- المؤمنون . آية (٩٩ ، ١٠٠) .

٢٠- سيد قطب . فى ظلال القرآن الكريم ، ج ١٨ ، م ٤ ، ص ٤٨٠ .

٢١- سورة الجمعة . آية (١٠) .

٢٢- الشيخ محمد الغزالى . خلق المسلم ، دار الكتب الاسلامية ، القاهرة ، الطبعة السادسة ، ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣م ، ص ٢٢٤ .

٢٣- رواه أبو داود فى سننه .

٢٤- أنور الجندى . قضايا العصر ومشكلات الفكر ، مؤسسة الرسالة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ، طبعة أولى ، ص ٧٦ .

٢٥- المرجع السابق ، ص ٧٧ .

٢٦- سورة لقمان . آية (٣٤) .

٢٧- أنور الجندى . قضايا العصر ، ص ١٥٣ .

٢٨- محمد قطب . واقعنا المعاصر ، ص ٥٣ .

٢٩- سورة الحجرات . آية (١٠) .

٣٠- سورة الحجرات . آية (١٣) .

٣١- الماوردى على بن حبيب البصرى . الأحكام السلطانيه ، الطبعة

الأولى ، دار الفكر ، مصر ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٣م ، ص ٦ .

٣٢-المرجع السابق . ص ١٥ .

٣٣-ابن قتيبه الدينورى . الأمامة والسياسة ، تحقيق د. طه الزينى مؤسسة الحليبى ، القاهرة ، ج١ ، ص ٢٥ .

٣٤-د. فؤاد مرسى . الرأسمالية تجدد نفسها ، سلسلة كتب عالم المعرفة ، الكويت ، عدد ٢٤٧ ، ص ٤٧٨ .

٣٥-سورة البقرة . آية (٢٨٤) .

٣٦-آل عمران . آية (٢٦-٣٧) ، سورة البقرة . آية (٣٠) .

-٣٧

٣٨-سورة الكهف آية (٣٨) .

٣٩-سورة البقرة . آية (٣٥ - ٤٠) .

٤٠-سورة البقرة . آية (٣٧٥) .

٤١-نحن نسمع أن بعض الدول المتقدمة مثل الولايات المتحدة تلقى بكميات من الأطعمة فى المحيطات ، بينما هناك ملايين من أطفال العالم الثالث يموتون جوعا وذلك بسبب الملكية الخاصة .

٤٢-روجيه جارودى . وعودة الإسلام ، ت د. ذوقان فرقوط ، دار الرقى بيروت ، طبعة ثانية ، ١٩٨٥م ، ص ٧٠ .

٤٣-سيد قطب . فى ظلال القرآن الكريم . ج ٣٠ ، مجلد ٦ ،ص٣٩٧٢.

٤٤-سورة الهمزة . آية (١ - ٢) .

٤٥-جارودى . وعودة الإسلام ، ص ٧٢ .

٤٦-المرجع السابق ، ص ٧٢ .

٤٧-د. محمد محمد حسين . حصوننا مهدده من داخلها ،مؤسسة الرسالة ،

بيروت ، الطبعة السادسة ، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١م ، ص ١٧ .

* W., Lillie, An Introduction to Ethtcs methuen on co L.T.B London 36 Enex St, WCP 2 , P. 233.

** Poliltcal Econonmy , Progress Rublishers Moscow , P. 13.

٤٨-دكتور/ محمد ظفر الله خان . الإسلام والإنسان المعاصر ، ترجمة الدكتور محمد جلال شرف ، دار المعرفة ، جامعة الاسكندرية ، بدون تاريخ ، ص ٢٢٨ .

٤٩-نيتشه . هكذا تكلم زرادشت نقلا من دكتور فؤاد زكريا فى كتابه نيتشه ، دار المعارف ، ١٩٥٦م ، ص ٥٣ .

٥٠-محمد عماره (دكتور) . الإسلام وحقوق الإنسان ، عالم المعرفه الكويت ، العدد ٨٩ ، شعبان ١٤٠٥ هـ - مايو ١٩٨٥م ، ص٥٥.

٥١-ابن تيمية . الفتاوى الكبرى . دار المنار مصر ، المجلد الأول ، ص ٣٣٩ .

٥٢-المرجع السابق ، ص ٣٤٩ .

٥٣-المرجع السابق ، ص ٣٥١ .

٥٤-ابن قيم الجوزيه . زاد المعاد فى هدى خير العباد ، مكتبة حميدو الاسكندرية ، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠ م ، جـ ١ ، ص ١٤٧ .

٥٥-الماوردى . الأحكام السلطانية ، دار الفكر مصر ، ١٤٠٤هـ -١٩٨٣م ص ١٠٥ .

٥٦-ابن القيم . زاد المعاد ، جـ ١ ، ص ١٤٨ .

٥٧-آيلز . الإسلام والعصر الحديث ، ص ٩٠ .